

أَنْفُسُنَا بِهِ حَكَائِيَّاتُ الْمَدِينَةِ

أغرب حكايات السحر

تأليف : جون كاننج

الطبعة الأولى
الناشر . المكتب العربي للمعارف
العنوان . ٧ ش عبد الله دراز - أرض الجولف ت : ٢٩٠٠٣٨٠

«جهد كبير بذله هذا الرجل
جون كانفنج في جمع كل هذه
القصص الغريبة التي تؤكد
القدرات الخارقة للروح
الإنسانية .. في عالم غريب ..
سيظل غامضا .. يتناول
العديد من مظاهر القوى
الخارقة .. والسحر ..
والأشباح والعودة إلى
الحياة .. والسحر الأسود ..
والعلاج الروحى ..
والجراحات السحرية ..»

هذا الدرويش المصرى الذى
دفن نفسه ٢٨ يوما ثم عاد
يمارس حياته الطبيعية .

* قدرات خارقة تمنع الدم من
التدفق وتشفى الجروح فى
دقائق معدودة عندما توقف
تنفس الساحر المصرى
ونبضات قلبه لمدة ٩٠ دقيقة .

D

شارلز إريل ماين

شارلز إريل ماين

«ساحر في مصر»

شارلز إريل ماين

بعد رحلات طويلة قام بها بول برنتون عبر الهند سعياً وراء الحقائق الروحية الغامضة .. قام ببرحلة أخرى إلى مصر .. كصحفي بصورة معلنة .. بينما هو في الحقيقة مدفوع بالسعى لاكتشاف الفلسفات القديمة والأنظمة التي حكمت مصر .. وعن أصحاب الأعمال الإنجازية والكهنة ورجال الدين .. فلمصر التي تمثل الشرق الأدنى أكثر من الشرق الأقصى حقيقة ثقافية مختلفة ويرتبط المضمون الغامض في مصر القديمة بالمجموعة المختلفة من الآلهة الرمزية ..

وفي مصر التقى برنتون بطاهر بك .. من أشهر الدراويش .. وهو لم يكن .. كالحالة في الهند .. رجلاً فقيراً يرفض العيش في الرفاهية المادية في العالم ويعتمد على ما يقدمه له الآخرون من طعام .. بل على العكس .. فقد كان رجلاً ثرياً معروفاً وسط الدوائر الملكية وكان يسكن شقة حديثة بها كل الكماليات في أحد الأحياء «الأوروبية» في القاهرة .. وقد بدت إنجازاته السحرية هائلة .. فقد ولد في عام ١٨٩٧ في مدينة طنطا بדלתا النيل .. توفي أمه وهو لا يزال طفلاً .. كان والده قبطياً .. وبسبب بعض المشاكل السياسية تركت الأسرة القاهرة وتوجهت إلى تركيا حيث أقامت في مدينة القسطنطينية .. وتلقى الشاب تعليماً جيداً ودرس

الطب وأصبح مؤهلاً ليكون طبيباً .. وافتتح عيادة فياليومان .. وهناك قام بما اعتبره أعظم إنجازاته حين سمح لنفسه بأن يُدفن حياً لمدة لا تقل عن ٢٨ يوماً رغم معارضة بعض رجال الدين الذين رأوا في تلك التجربة تناقضًا مع الأديان .. ولكن الحكومة أقرت التجربة على أساس أن ظاهراً بك كان طبيباً له حق أن يُدفن نفسه كما يشاء ..

وبعدها قام بزيارات لكل من سيريا وبلغاريا وإيطاليا .. وفي إيطاليا سمح لمجموعة من العلماء المشهورين باختبار قدرته ووضعوه في نعش وضعوه في حمام سباحة .. ولكن بعض نصف ساعة تدخلت قوات البوليس وأوقفوا التجربة .. بعدها وفي فرنسا تم تكرار التجربة واستمرت لمدة ٢٤ ساعة .. وقال ظاهر بك إنه سعد لدخول هذه التجربة لأن بعض المنتقدين زعموا أن الدراويش الهنود الذين مرروا بهذه التجربة بالدفن أحياء كانوا يصنعون قنوات هواء سرية محفورة في الأرض لتمكنهم من استمرار التنفس .. وللهذا السبب فإن ظاهراً بك قام بتجربته تحت الماء بحيث يمكن للعلماء والمنتقدين أن يلاحظوا كل شيء ويراقبوه .

وقد ذاعت شهرة الرجل في الآفاق فدعاه كل من الملك فؤاد ملك مصر والملك كارول ملك رومانيا والملك فيكتور إيمانويل ملك إيطاليا ..

وكانت رغبة برنتون أن يشهد بنفسه بعض هذه التجارب تحت ظروف يمكن التحكم فيها وليس أن يسمع فقط للتفاصيل .. وكالعادة استطاع برنتون إقناع مضييفه بأداء التجربة .. كان ظاهر بك نفسه قصيراً ذا ملامح متميزة .. وجهه مرئي .. كان سلوكه لطيفاً وبسيطاً .. كما كان مضيافاً كريماً .. وكان يتحدث

بصوت خفيض وبتواضع شديد حتى إن أحداً لم يكن يمكنه تخيل أن يكون هذا هو الرجل صاحب القوى الخارقة .. وكان يدخن بشرامة ..

وفي شقته قال طاهر بك بخصوص قدراته الخارقة «يجب أن نبدأ بالاعتراف داخل أنفسنا بالإمكانات الهائلة التي نمتلكها جمِيعاً .. وحتى نفعل ذلك فعلينا أن نظل مرتبطين بالقيود غير الضرورية التي تحول بيننا وبين ممارسة قدراتنا الروحية الهائلة والقوى المادية .. ويعتقد الناس الذين يرون الظاهرة التي أقوم بها أنها نوع من السحر أو الشعوذة ... أو شيء خارق للطبيعة تماماً .. وفي الحالتين فهم مخطئون .. فهم لم يفهموا حقيقة أن هذه أشياء علمية تماماً تستجيب لقوانين الطبيعة الروحية التي لا تفهم بصورة كاملة» ..

ومن أجل القيام بالتجربة التي جرت في شقة طاهرة بك جمع برنتون مجموعة صغيرة من الأطباء لكي يشاهدو سلسلة التجارب التي قام بها طاهر بسهولة وبساطة غير عادية ..

ولسوء الحظ فإن برنتون لم يذكر أسماء أو شخصيات هؤلاء الشهود .. ارتدى طاهر بك جلباباً أبيضاً ورداء على الرأس مربوطاً بخيوط من اللونين الذهبي والأزرق .. بينما علق على صدره سلسلة تنتهي بنجمة خماسية الشكل ذهبية .. ووقف وقد وضع يديه على صدره متظراً لحظة البداية ..

وعلى منضدة في الحجرة كانت هناك بعض الأشياء التي فحصها الحاضرون .. فقد كان عليها بعض الخناجر الصغيرة والمسامير والإبر وقطع الزجاج .. وعلى منضدة أخرى كان هناك لوحة خشبية مملوءة أيضاً بالمسامير .. وقطعة من صخرة ثقيلة

وميزان ومطرقة .. وأرب ودجاجة مربوطان من القدمين
وموضوعان في سلة .. كان هناك أيضاً نعش طويل .. وصندوق
أكبر وأطول . وكومة من الرمل الأحمر .. ومجموعة من المناشف
الصغيرة ..

ومع طاهر بك كان هناك شابان مساعدان له .. وبدأت التجربة
كما يلى : لمس الدرويش قفاه بيده وضغط بقوة بأصابعه .. بينما
قام بيده الأخرى بالضغط على جبهته .. وبعد ذلك بدأ يتنفس بقوة
ويمتص الهواء بقوة .. وفي خلال دقيقة أغلقت عيناه .. ثم أصدر
صرخة معينة ودخل في حالة أقرب إلى الإغماء حتى إنه سقط مثل
رجل ميت ولو لا أن مساعديه أمسكا به بين أذرعهما .. وأصبح
جسده متجمداً كقطعة من الخشب ، وقام المساعدان بتعرية الجزء
الأعلى من جسده ووضعاه فوق المنضدة الطويلة .. وفي هذه
اللحظة قام أحد الأطباء بقياس ضربات القلب وفوجيء بأنها
تحصل إلى ١٣٠ وهو ضعف الرقم الطبيعي .. ثم جاء المساعدان
بقطعة الصخر الجرانيت التي يبلغ وزنها نحو ٩٠ كيلو جراماً ..
ووضعاهما على بطن طاهر بك العارية .. وقاما بالضرب عليها
بالمطرقة بقوة بينما الجسم لا يزال متصلباً كقطعة من الحديد
حتى انشطرت الصخرة إلى قطعتين .. سقطتا على الأرض .. ثم
ساعد الشابان الدرويش بالنزول وال الوقوف على قدميه وكان يبدو
غائباً عن الوعي لا يدرك ما حدث ولا يشعر بألم ..

وبعد ذلك وضع طاهر بك على اللوح الخشبي المغطى
بالمسامير وقطع الزجاج .. ووقف أحد مساعديه فوق صدره
والآخر فوق بطنه .. وكان كل منهما يقفز إلى أعلى وينزل ..
وعندما فحص الأطباء ظهر طاهر بك فوجئوا بأن ظهره لا يحوى
أى علامة بشيء غير عادي .. ولم تظهر نقطة دم واحدة من
المسامير وقطع الزجاج .. وعند قياس النبض بلغ ١٣٢ ..

وساعده الشابان على الوقوف على قدميه حيث كان يفتح عينيه
بيطه ، وكأنه خارج من حلم .. وظللت عيناه على هذه الحال لمدة
نصف ساعة حتى بدا يفيق ويعود إلى الطبيعة حين بذل جهدا
عنيفا لاستنشاق الهواء وفتح فمه بدرجة كبيرة حتى إن
الحاضرين بدا لهم أنهم رأوا السانه ، يدخل إلى زوره .. وبعد أن
تنفس للحظات استخدم أصبعه لإعادة اللسان إلى مكانه ..

ولم يسترح طاهر بك أكثر من دققتين حين خضع لاختبارات
أخرى فقد طلب الأطباء أن يخرقوا فكيه بدبوبسين صغيرين ..
وقام أحدهما بالفعل بإدخال الدبوبس من الخارج إلى داخل الفك ..
وكان طاهر بك مستيقظا ومدركا لما يحدث ولكنه لم يئن عليه
إى الم .. بل حتى عندما سمع لطبيب آخر بوضع خنجر في زوره
وإدخاله في الحنجرة من الخارج .. لم يشعر الدرويش بأى الم
بعد أن دخل الخنجر لمسافة سنتيمتر على الأقل من اللحم .. ولهذا
فإن الأطباء فحصوا عينيه جيدا لمعرفة ما إذا كان قد استخدم
إى نوع من المخدر .. ولكن كل شيء كان يبدو طبيعيا ..

وكان الشيء الذى أدهش الأطباء أكثر عدم وجود دم على
الإطلاق على جلد طاهر بك .. وقد أجروا تجربة بعمل قطع فى
وجهه بقطع من الزجاج وكذلك بسكين فى كتفيه وصدره .. ولكن
كانت النتيجة جروحا بلا دماء .. وسأل أحد الأطباء طاهرا بك
عما إذا كان يستطيع أن يخرج دماء من الجروح .. وعلى الفور
بدأ الدم يتدفق حتى غطى صدره .. وعند نقطة معينة توقف الدم
بمجرد استخدام قوة الإرادة .. وخلال دقائق قليلة كانت الجروح
قد شفيت تماما ..

وكانت التجربة الأخرى المرور بشعلة من النار المتقدة على
أحد قدمي طاهر بك حتى كانت تسمع أصوات طقطقة لحم القدم

بسبب النار بينما لا يبدو على وجهه أى تغير أو ألم .. وهنا أجرى أحد الأطباء اختباراً آخر لمعرفة ما إذا كان الدرويش قد تناول أى مخدر .. وثبت عدم وجود أى شئ غير عادى ..

بعد ذلك قام طاهر بك بتجربة قدرته على السيطرة على الحيوانات بتنويم كل من الأرنب والدجاجة مغناطيسيا بالضغط على عصب فى رقبة كل منهما والمرور بيديه على نفس العصب عدة مرات .. بعدها كان كل من الأرنب والدجاجة لا يتحركان من المكان الذى يضعهما فيه طاهر بك ..

وفي النهاية كان موعد أهم تجربة وهى الدفن حيا .. وقد أجريت هذه التجربة تحت شروط مشددة بعد السماح بأدنى قدر من الشك فى صدقها ..

فبعد فحص دقيق لأرضية الشقة جاء المساعدان بالنعش ووضعاه فى وسط الحجرة .. التى كانت أرضيتها مصنوعة من بلاطات الموزاييك .. وتم التأكد من عدم وجود أى إمكانية لدخول الهواء إلى النعش .. وبعدها دخل طاهر بك فى حالة الإغماء الكلى كما فعل فى التجارب السابقة .. ثم قام الأطباء بفحصه ليجدوا أن التنفس قد توقف تماما وكذلك دقات القلب .. ووضع الجسد فى النعش وتم إغلاق الفم بقطعة قطن كبيرة ثم غطى النعش بالرمال الحمراء حتى آخره ..

وجلس الأطباء الذين حضروا التجربة فى اندهاش وتعجب من أنهم قد سيطروا على كل شئ وفحصوا كل شئ .. وإذا عاد هذا الرجل للحياة فإنها ستكون قدرات خارقة للطبيعة - من وجهة نظرهم - وكان الاتفاق أن يستمر طاهر بك فى هذه لمدة ساعة ونصف .. وقبل انقضاء هذه المدة بدقائق قام المساعدان بإخراج

الجسد من النعش .. كان لون الجلد أقرب إلى اللون الرمادي وكان متصلبا تماماً .. وبعد دقائق وفي الوقت المحدد بدأ يتنفس ببطء وتتحرك جفون عينيه .. وبعد ١٠ دقائق تماماً عاد تماماً لطبيعته وجلس على مقعد وأخذ يتحدث عن تجربته الغريبة ..

قال : «لقد كانت إغفاءتى كاملة حتى إننى لا أذكر شيئاً بالمرة مما حدث لى بعد أن أغلقت عينى .. وحتى استيقظت فى اللحظة التى حددتها لنفسى ..

بعدها بأيام قام برنتون بزيارة لشقة طاهر بك هذه المرة لإجراء حوار معه ومناقشته حول هذه التجربة .. قال طاهر بك إن البعض يظنون خطأ أنهم عندما يضعون المسامير فى فكى فإن كل ما أفعله هو إجبار ارادتى على مقاومة الألم .. وإذا كان هذا صحيحاً فلماذا لا تظهر أى جروح على جسدى بعد كل هذا الوجز ؟ .. الحقيقة أنهم لم يستطيعوا بعد الفكاك من أسلوبهم الذى اعتادوه فى التفكير .. ولم يتصورا حقيقة تفسيراتى لما يحدث .. إن ما يحدث يعود إلى اثنين من الأسرار .. الأول هو الضغط على بعض المراكز العصبية ..

والثانى القدرة على الدخول فى حالة إغماء أشبه بالغيوبة .. ويمكن لأى شخص مناسب ومستعد للدخول فى تدريب طويل قمت به حتى أستطيع على نفسي لأداء ما أقوم به .. وبدون هذا فإننى لا أدعى أن لدى الشجاعة على تحمل الألم .. فلست مثل هؤلاء الهندود الذين يتطوعون لتحمل الألم والمعاناة .. كل ما أشاركم فيه هو قدرتى على الحياة الروحية ..

ويضيف طاهر بك إن السيطرة على المراكز العصبية والدخول بقوة فى غيوبة تجعل اللحم البشرى لا يتاثر بالألم مهما كان

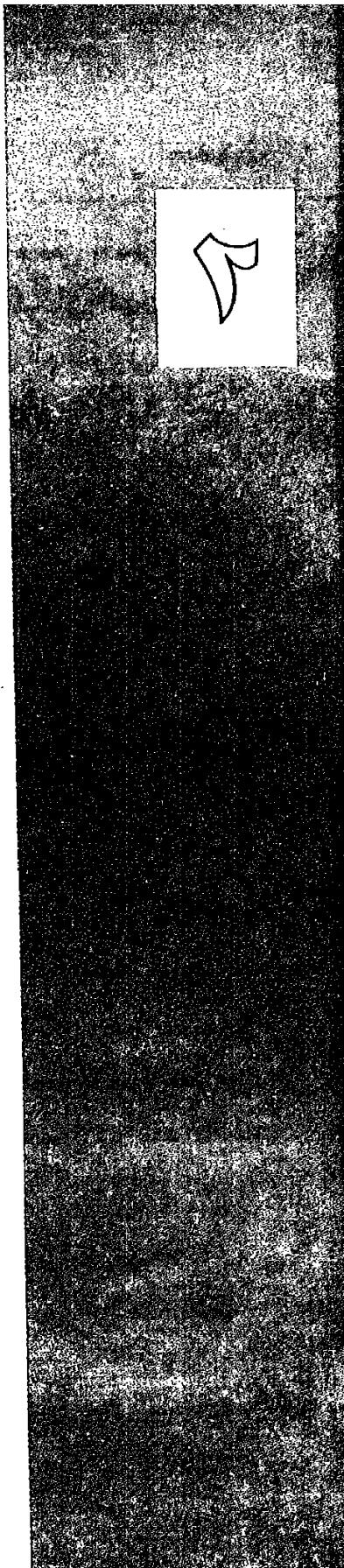
وهذا يأتي بالتجربة والتدريبات .. وعن قدرته على ابتلاع لسانه حتى يمنع أى حشرات أو جراثيم من دخول جوفه قال طاهر بك إن هذا أيضاً يأتي بالتدريب وأن والده كان يحرك له لسانه وهو لا يزال رضيعاً .. أما عن تحديد فترة الذهب في غيبوبة طويلة .. والاستيقاظ فهو يقول إن الإنسان - أى إنسان - يمكنه أن يحدد موعد استيقاظه في الصباح قبل النوم ليلاً .. وينجح في ذلك لأن العقل الباطن لا ينام أبداً ..

وعندما سأله برينتون طاهراً بك عما يتذكره في لحظات الدفن حياً .. أى ما يحدث للروح قال طاهر بك إنه لا يمكن أن يقول شيئاً لأنه لا يريد أن يبدو إنساناً يعرف أسرار ما وراء الحياة .. إن هناك أعمقاً غامضة لم نستطع اقتحامها بعد .. إن الأمر هو أنتي عندما أذهب في إغفائه أصبح في حالة ذلك الذي يسير وهو نائم .. وعندما أعود إلى الحياة الطبيعية لا أتذكر أى شيء .. وأضاف قائلاً: «إن علينا أن نقبل الحقائق كما هي .. أو كما نجدها» ..

وبرغم أن الحوار استمر لفترة فإنه تركز أساساً على المظاهر التاريخية لعملية دفن البشر أحياء، وتأثيراتها على الجسد على المدى القصير .. ولكن بالنسبة لبرينتون فقد كان اللقاء مع طاهر بك واحداً من أهم وأعظم أعماله في سعيه وراء الحقيقة .

* * *

* صانعوا المعجزات في
بناريز : معلم اليوجا يعيد
الحياة للموتى ويصنع من
الهواء حلوى وفواكه ويقول :
هذه أسرار أشعة الشمس .



« صانعوا المعجزات في بناريز »

كلير سميث

تعد مدينة بناريز أو فارانا زى كما تعرف اليوم من أقدم المدن في العالم .. وهي تقع في المنطقة الوسطى من شمال الهند على نهر الجانج وتعتبر هي أقدس المدن المقدسة لدى الهنود .. فقد قاومت الكثير من الهجمات والغزاة .. بداية من عام 1194 حتى 1775 عندما تعرضت للغزو البريطاني .. وفي كل عام يزورها مليون أو أكثر من الحجاج للاستحمام في مياه الجانج المقدسة .. ونظراً للاعتقاد بأن من يموت في بناريز يذهب مباشرة إلى الجنة .. فإن النهر يكون مشغولاً دائماً بهؤلاء الذين يلقون فيه برفات الموتى بعد حرق الجث ..

وكان أول رد فعل لبول برنتون عندما دخل هذه المدينة لأول مرة أن لها رائحة غير مقدسة بالمرة .. وذلك لأن طرقتها ممهدة بخلط من الطين وروث الأبقار .. وبرغم هذا ولأنها مدينة مقدسة فإنها هدف لا يمكن أن يتتجنبه عقل برنتون الساعي للبحث عن الحقيقة .. وعن حل الغموض والفلسفات ..

وقد سجل برنتون جولاته في الشرق في كتبه التي بدأ يضعها خلال الثلاثينيات .. وفي ذلك الوقت كان شاباً مسلحاً بمجموعة من الأوراق وكاميرا للتصوير .. وبالإضافة لكتب الرحلات فقد كتب

أيضاً كتابين عن التصوف .. وعن اليوجا .. وبرغم أنهما كتابان موجهان للقارئ الغربي فإنهما يتضمنان عرضاً جيداً لجوهر الصوفية في الشرق بمعناها الفلسفى والعملى .. وهما يوضحان الدافع الحقيقى لبرنتون باعتباره رجلاً يسعى للمعرفة والبحث عن الحقيقة ومستعداً للسفر آلاف الأميال للعثور عليها وتسجيلها وتحليلها ثم تقديمها في شكل منطقى عقلانى للعقل الغربى .. ولكن لأى هدف كان ذلك؟ .. ربما كان استجابة لشعور داخلى سيطر على الكثير من سنوات عمره ..

لذلك فلم يكن من قبيل المصادفة أن جاء برنتون إلى مدينة بناريز المقدسة .. وفي جيده قطعة ورق تحمل اسم وعنوان واحد من صانعى المعجزات .. من هؤلاء الذين التقى بهم في بومبای .. كان الرجل من أتباع مدرسة اليوجا .. ويدعى فيشوظاندا .. لم يكن برنتون يعرف أى نوع من الاستقبال سيسنقبله الرجل ..

وليحدد العنوان بدأ برنتون رحلة في شوارع بناريز العتيقة على قدميه .. برغم ما في الرحلة من أخطار يعرفها من وجود مظاهر عدائية ضد أي أوربي يتجرأ وحيداً في المدينة المقدسة حتى إن أحدهم أطلق عليه سهماً لإصابته ولكن السهم مرق بجانبه دون أن يصب فيه .. وعندما استدار إلى الخلف لم ير أحداً .. وسرعان ما وصل إلى حى تبدو منازله أكثر اتساعاً وهنا عثر على وجهته .. بوابة كتب عليها فيشو ظاندا ..

والوصول إلى المنزل كان شيئاً .. أما دخوله فهذا شيء آخر .. فشرفة المنزل كان يحرسها شاب تبدو عليه ملامح الغباء وعدم الفهم .. وعندما سأله برنتون عن معلم اليوجا لم يفعل الحراس الشاب شيئاً سوى أن هز رأسه .. وقال إنه لا يوجد أحد هنا ..

وكان انطباع برنتون أنه ربما كان الحارس الشاب يعتقد أنه لا يمكن أن يكون هناك عمل يربط بين شخص أوربي وبين معلم اليوجا .. ولكن برنتون - والإصرار يحركه - اتجه إلى المنزل ودخل تاركا الحارس في شرفته .

وفى إحدى الحجرات الداخلية عثر برنتون على هدفه .. رجل مُسيّن له لحية طويلة يجلس على أريكة بينما انتشر حوله مجموعة من الهنود ، وبالطبع يمكن تخيل وقع المفاجأة من هذا الاقتحام الذى قام به برنتون .. ولكن برنتون سارع بتقديم التحية التقليدية «سلام ياسيدى» ثم بدا يفسر سر وجوده .. قال إنه كاتب ودارس للفلسفة الهندية والحكمة .. ويفهم جيدا أن المعلمين المقدسين لا يقومون باستعراض قدراتهم علينا .. ولكن نظراً لاهتمامه العميق بالحكمة القديمة فإنه يرجو أن يكون استثناء ..

بدأ التلاميذ المنشرون الجالسون على الأرض ، يحملقون فى اندهاش لبعضهم البعض .. ثم إلى معلمهم فيشوظاندا .. وهو رجل تعدد السبعين .. له عينان واسعتان عميقتان .. وأنف قصير فوق لحيته الرمادية الطويلة .. وفوق رقبته علق خيط البراهمين المقدس .. وقد ركز عينيه على الزائر الأوربي .. بينما شعر برنتون بخوف وقلق يملآن المكان ..

وأعلن فيشوظاندا باللغة البنجالية عن طريق أحد تلاميذه أنه لا يمكن السماح بمترجر ما لم يحضر برنتون بصحبة البانديت كافيرى .. رئيس كلية سانسكريت الحكومية ليعم لمترجمما .. فقد كانت البانديت من تلاميذ المعلم منذ وقت طويل وهو يتحدث الإنجليزية جيداً .. وتم تحديد الرابعة بعد ظهر اليوم التالي موعداً ..

وبعد أن أعرّب برنتون عن شكره وغادر المكان كانت الخطوة

التالية هي العثور على البانديت كافيري .. ولكن هذه المرة استأجر عربة خشبية لتوسيعه إلى كلية سانسكريت .. حيث وجد كافيري قد عاد إلى منزله .. فذهب من فوره إلى هناك .. وكان محظوظاً هذه المرة .. فقد عثر على الرجل جالساً على الأرض في حجرة علوية تحيطه الكتب والوثائق ، وبعد أن شرح له برنتون مهمته .. وبعد شيء من التردد وافق البانديت على الموعد المحدد للبيوم الثاني ..

وفي البيوم التالي - كما هو متفق عليه - وصل البانديت كافيري وبرنتون إلى منزل فيشوظانندا في الرابعة تماماً .. وفي هذه المرة لم يكن هناك مشكلة في الدخول .. كان المعلم في غرفته يحيط به نحو ستة من التلاميذ ودعى برنتون للجلوس بالقرب من الأريكة التي استلقى عليها المعلم ..

وعلى الفور سأله فيشوظانندا برنتون عما إذا كان يريد أن يرى بعض الأعمال الخارجية .. فسعد برنتون وفوجيء بهذا .. وطلب المعلم منديلا حريريا .. ولحسن الحظ كان لدى برنتون هذا المنديل فأعطاه للمعلم الذي أخرج عدسة زجاجية صغيرة يستخدمها في تركيز أشعة الشمس .. وفي ذلك الوقت من البيوم لم تكن الشمس مشرقة مباشرة على الحجرة .. ولكن المعلم تغلب على المشكلة بإرسال واحد من تلاميذه إلى الخارج ومعه مرآة صغيرة ليعكس أشعة الشمس داخل الحجرة ..

وقال فيشوظانندا : «والآن سوف أصنع لك رائحة طيبة من الهواء فماذا تختار؟» قال برنتون : أريد رائحة الياسمين الأبيض القوية .. بعدها أمسك المعلم بالمنديل في إحدى يديه ثم وضع العدسة فوقه لمدة ثانية فقط .. وعندما أعطى المنديل لبرنتون كان وكأنه قد نقع في سائل الياسمين الأبيض ..

نظر برنتون بدقة إلى المنديل .. لم يكن هنا أى دليل لوجود رطوبة أو بقع تدل على أن سائلا قد سقط فوقه .. وهنا عرض فيشوفاندرا تكرار تلك التجربة .. واختار برنتون هذه المرة عطر الورد .. وبدأ يراقب كل حركة يقوم بها المعلم .. ويفحص عن قرب يديه ورداءه الأبيض ولكنه لم ير شيئاً .. وأعيدت التجربة باستخدام طرف آخر من المنديل الذي امتلاه هذه المرة برائحة عطر الورد ..

وناشد برنتون المعلم تكرار التجربة .. وكانت هذه المرة رائحة البنفسج .. وكان برنتون هذه المرة يراقب كل شيء بدقة .. وامتلاه المنديل الحريري بعطر البنفسج .. ونظر برنتون إلى وجوه الحاضرين حيث وجد الانطباع لديهم جميعاً بأن ما قام به المعلم ليس سوى سحر حقيقي ..

وعندما هم برنتون بمغادرة المكان قال فيشوفاندرا لبرنتون أنه يجب أن يريه معجزة أخرى .. ولكنها تحتاج إلى ضوء الشمس .. وأضاف المعلم أنه إذا عاد برنتون مرة أخرى ظهر آخر أيام الأسبوع فإنه سيصنع أمامه شيئاً نادراً الحدوث وهو إعادة الحياة لـإنسان ميت .. وبالطبع وافق برنتون بشغف ولكن بشيء من الشك .. فلحياء الميت أمر مختلف تماماً عن إنتاج روائح عطرية من الهواء .. وكان الشعور الذي يسود برنتون أن نوعاً من الخداع سوف يستخدم في هذه المرة ..

وفي اليوم الموعود عاد برنتون إلى منزل معلم اليوجا .. مرة أخرى بصحبة البانديت كافيرى .. وأوضح فيشوفاندرا أنه سوف يقوم بمعجزته على حيوانات صغيرة وبعدئذ يعيدها للحياة .. وطلب المعلم من أحد تلامذته أن يخنق عصفوراً .. ثم ترك العصفور لمدة ساعة لكي يتتأكد الجميع من موته فعلاً ..

وقام برنتون بفحص العصفور بدقة .. كان ريش العصفور بارداً ومتصلباً وعيناه محمقتين .. لم يكن هناك أى دليل على الحياة .. وفي نهاية الساعة أمسك المعلم بعdestه وركز أشعة الشمس فى أوجها على أحد عينى العصفور .. وركز فيشوظانندا عينيه على العصفور بينما لا إحساس فى وجهه ..

بعد دقائق قليلة بدأ فيشوظانندا يردد أغنية بلغة غير معروفة لبرنتون وبعدها بلحظات بدأت إحدى رجل العصفور ترتعش .. ثم الريش الصغير يرتجف .. وبعد دقائق كان العصفور واقفا على قدميه .. وسرعان ما جمع قوته لنشر جناحيه .. ولمدة نصف ساعة كان يطير في الحجرة ..

عقدت الدهشة لسان برنتون .. فقد بدا ما حدث أمامه شيئاً لا يصدق .. وبذل جهداً كبيراً للتخلص من دهشته ويؤكد لنفسه أن ما حدث كان شيئاً حقيقياً وليس هلوسة أو حلمًا غريباً .. وبينما هو يلقى بنظرة إلى الحاضرين من تلاميذ المعلم لم ير برنتون شيئاً أكثر من اهتمام بمراقبة العصفور ..

وفجأة وبدون تحذير سقط العصفور من الهواء على الأرض بلا حراك .. وقام برنتون بفحصه بدقة ومرة أخرى كان العصفور ميتاً تماماً .. طلب برنتون من البانديت كافيري أن يسأل المعلم عما إذا كان بإمكانه إعادة الحياة للعصور لفترة أطول .. ورد فيشوظانندا بأنه بمزيد من التجربة فإنه يأمل أن يصنع أشياء أعظم .. ولكن ما قام به هو أقصى ما يستطيع في ذلك الوقت .. وأضاف كافيري بأنه يتمنى أن يكون قد اقتنع بما رأى .. وأن فيشوظانندا يمكنه القيام بمعجزات أخرى فهو يمكنه أن يأتي بالحلوى والفاكه من الهواء ويعيد الحياة إلى زهرة ذابلة ..

بعدئذ طلب برنتون من فيشوظاندا أن يحكى له قصة حياته وعلم أنه ولد في إقليم البنغال .. وعندما كان عمره ١٣ سنة تعرض لحشرة سامة ومرض مرضًا شديداً حتى إن أمه يئست من شفائه وأخذته إلى ضفاف نهر الجانج ليموت هناك .. وبينما أقاربها قد جاءوا للحضور طقوس الجنائزة قامت الأم بإinzال جسد ابنها في الماء .. ولكن النهر المقدس رفض استقبال الجسد المحترض فكلما اقترب جسد الطفل من الماء كان يرتفع مرة أخرى .. وعندما لاحظ أحد معلمي اليوجا ما يحدث حضر إلى أسرة الطفل .. وقال لهم إن هذا الطفل سوف يعيش وإن الله حفظ حياته لتحقيق أشياء عظيمة وإنه سوف يصبح معلم يوجا شهيراً .. وقام بعد ذلك بدعوك الجرح المسموم ببعض الأعشاب وطلب من والديه العودة به إلى المنزل ..

وبعد ٧ أيام وصل معلم اليوجا ليقول لوالدى الطفل أن ابنها قد شفى تماماً .. وكان هذا حقيقياً ، ولكن في ذلك الأسبوع تغيرت تماماً شخصية الطفل فهو لم يعد يسعد بالبقاء في المنزل مع أسرته .. ولكنه يرغب بدلاً من ذلك في أن يصبح من ممارسي اليوجا الجوالين ..

وعندما سمح له بالخروج بدا يبحث عن خبراء اليوجا وتوجه إلى التبت .. وهناك بين الناساك عاش في كهوف تغطيها الثلوج يبحث عن المعلم الذي يصبح معلماً له طبقاً لمعتقدات هوّلاء من ممارسى اليوجا وأسرارها ..

وعاد الطفل محبطاً إلى أهله ولكن إصراره استمر .. وفي زيارة ثانية قام بها إلى جنوب التبت وجد مبتغاه .. رجلاً - قال فيشوظاندا - إن عمره ١٢٠ سنة .. وقالها ببساطة وكأنه يذكر أن عمره ٥٠ سنة فقط .. قام هذا الرجل بتعليم فيشوظاندا مبادئ علم اليوجا والتحكم في الجسم .. وفن علم الفلك ..

وظل فيشوظاندا مستمراً في تدريياته في منطقة الجبال لمدة ١٢ سنة ثم عاد إلى الهند حيث أصبح معلماً لليوجا في موري بميناء البنغال حيث كان له منزل كبير .. ومن بين تلاميذه كان كل الهندوس من الطبقة العالية ومعظمهم من التجار الأثرياء والمسؤولين الحكوميين وملوك الأراضي ..

وسأله برنتون : كيف تؤدي الأعمال التي أظهرتها لي ؟ .. فرد عليه قائلاً : إن ما شاهدته ليس نتيجة ممارسة اليوجا .. إنه نتيجة معرفة علم الشمس .. فالليوجا هي تعويير لقدرة الإرادة والتكيز الذهني .. أما علم الشمس فهو مجرد مجموعة من الأسرار ولا يتطلب الأمر إلا تدريبياً خاصاً لاستخدامها .. ويمكن دراستها بالضبط مثل أي علم مادي في الغرب .. وهي ليست شيئاً جديداً وكانت معروفة تماماً لعظماء معلمى اليوجا في العصور القديمة .. أما الآن فإن هذا العلم لا يعرفه إلا القليلون .. فهناك عناصر منع الحياة في أشعة الشمس وإذا علمت كيف تختار وتفصل بين هذه العناصر فإليك أيضاً يمكن أن تقوم بمثل ما أقوم به .. إن هناك قوى خاصة في ضوء الشمس يمكن السيطرة عليها لتقدم لك قوى سحرية ..

وسائل برنتون فيشوظاندا عما إذا كان يقوم بتعليم هذه الأسرار لتلاميذه فقال له إنه يختار بعض التلاميذ فقط لنقل هذه الأسرار. عندما يكون على استعداد .. وانتقل برنتون إلى معمل كبير بنى بهدف هذه الدراسة والتجربة .. وهو بناء حديث مبني بالطوب الأحمر .. وعلى النوافذ الواح من الزجاج الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر والأبيض التي تعكس أشعة الشمس ..

وعاد برنتون ليجلس أمام المعلم ويقول له إنه لم يفهم مطلقاً أسرار السحر الشرقي .. وكما لو كان فيشوظاندا قد قرأ أفكار

برينتون قال فيشوظانندا إنه لا يمكنه أن يتعامل معه كتلميذ ما لم يحصل على موافقة مسبقة من معلمه في التبت وإن هذا هو الشرط الذي يعمل بمقتضاه ..

وبرغم أن برنتون كان يدرك أن مثل هذا الطلب لن يحظى بالموافقة فإنه سأله كيف يتصل فيشوظانندا بمعلمه في التبت .. فرد قائلا : إننا على اتصال تام من خلال دوائر داخلية .. وأضاف أنه مالم تمارس اليوجا فإنك لا يمكن أن تتحقق الإشراق .. وعندما تكون مستعدا فإنك سوف تجد معلما .. وبدأ بالفعل يعلم برنتون كيف يمارس السيطرة على الجسم .. من خلال عدد من الأوضاع .. وقال له : ككل كائن حتى يفكر ويعمل .. لذلك يجب أن يكون هناك تدريب لكل عملية .. فالجسم يعمل بناء على العقل .. والعقل يتفاعل مع الجسم فلا يمكن الفصل بينهما ..

وفي النهاية سأله برنتون فيشو ظانندا : « هل اكتشفت ما إذا كان هناك هدف أو غرض للحياة؟ » .. ابتسم التلاميذ من سؤال برنتون .. فالرجل الغربي فقط هو الذي يسأل مثل هذا السؤال .. ولم يحاول المعلم أن يجيب .. وترك الأمر للبادئات كافيري الذي قال : بالتأكيد هناك هدف .. إن علينا أن نسعى للوصول إلى الاكتمال الروحي حتى نتحد مع الله » ..

* * *

* خدعة الحبل الهندي .. لاتزال
في حاجة إلى بحث :
ابن بطوطة وحكاية عن
الطفل الذي اختفى ثم عاد
عبارة عن أجزاء منفصلة . ما
حقيقة خدعة الحبل الهندي ؟

٣٣

« خدعة الجبل الهندي »

* كلير سميث *

قال لى ضابط متقاعد فى الجيش الهندى ذات مرة : « إن من عاش فى الهند لمدة ٢٠ سنة ولا يزال يزعم أنه لا يؤمن بالسحر فهو إما أحمق أو كذاب .. فالهند ومنذ قديم الأزل هى بلد السحر ولا يوازيها فى ذلك بلد فى العالم .. إنها المكان الذى يولد فيه الغموض الذى يجذب الباحثين عن الحقيقة من كل أرجاء الكرة الأرضية .. وهى أيضاً المكان الذى ولدت فيه رياضة اليوغا التى يتراوح ممارسوها ما بين ربات البيوت .. وحتى كبار الكهنة والقساوسة ورجال الدين ..

ولعل الأعمال الخارقة التى يقوم بها رجال السحر هى أعمال غير عادية حقا .. ولكن أهم وأكثر المعجزات التى شاهدها الآلاف فى العديد من الأماكن ومن بينهم رجل الطبيعة بيبى .. وحتى ماكسيم جوركى الروائى الشهير هى لعبة خدعة المشنقة الهندية .. التى أثارت جدلاً شديداً فالبعض يقول إنه لا يوجد من يمكنه أن يؤدىها .. والبعض يقول إنها مجرد هلوسة الحديث عنها ..

ودعونا الآن نبدأ بوصف هذه اللعبة كما جاءت فى أقوال الشيخ أبو عبد الله محمد الشهير « بابن بطوطة » أحد أبناء منطقة تايخير .. وواحد من أوائل الرحالة إلى الشرق ..

ففي القرن الرابع عشر كان الشيخ أبو عبد الله ضيفاً على حاكم هانجشـ .. وهو يقول في كتاب الرحلات الشهير «ابن بطوطة» إنه ذات مساء كان ضيف شرف على مأدبة حضرها العديد من الأمراء والتجار المسلمين .. وأقيمت المأدبة في إحدى القاعات الكبرى في قصر الخان حيث كانت تؤدي الرقصات والأغاني وكذلك أعمال السحر .. وعندما دخل المساء توقفت الموسيقى وانسحب الراقصون وأفسحوا المكان لشخص قوى البنية دخل إلى وسط القاعة .. كان يرتدي قميصاً فضافاضاً .. وكان يحمل فوق كتفيه أكبر عباءة شاهدها الشيخ أبو عبد الله في حياته فقد كانت مصنوعة من آلاف الريش وخيوط الفضة والذهب .. وكانت تخرج منها أضواء بجميع الألوان التي كانت أشبه بنيران بركان .. وفي نهايات هذه العباءة كانت هناك عيون مستديرة من اللونين الأصفر والأخضر كلون تلك الموجودة في ذيل الطاووس ..

وامسك هذا الرجل الضخم في يده بكرة خشبية .. مربوط بها حبل جلدي ورفع الرجل كرته الخشبية أعلى يديه وأخذ يدور ويدور أسرع فأسرع .. وتدور معه عباءته الملونة لتصبح كضوء الشمس .. وفجأة يتوقف عن الدوران السريع ويلقى بالكرة الخشبية بعيداً في السماء .. وسواء كانت الكرة قد علت حتى أصبحت بعيدة عن مدى النظر .. أو أنها قد اخترت في الظلام .. هذا ما لم يقله الشيخ أبو عبد الله .. ولكن الكرة اختفت بينما الساحر لا يزال يمسك بالسوط الجلدي المرتفع في السماء الذي لم يكن هناك أي سبب يدعو للشك في أنه لا يزال مرتبطاً بالكرة الخشبية غير المرئية ..

وتوقف الساحر وأخذ يحملق في الراقصين والمطربين الذين اصطفوا في القاعة بينما كان هناك صبي صغير يعدو بين الجميع

يحاول الهرب .. ولكنـه فى النهاية استسلم فى يد الساحر كمن قبل مصيره .. وسار ببطء حتى الحبل الجلدـى وأمسـكه وبدأ يتسلـق .. لم يكن صبيا قويا ولذلك فإنه تسلـق لبعض أقدام احتاجـت منه إلى جهد كبير .. ولكنـه فجأة بدأ كمن فقد وزنه وبدأ تسلـقه أسرع وأسرع وأسرع .. وفي دقائق اختفى عن النظر ..

وبعد لحظة ساد فيها صمت بدأ المتفرجون ينتظرون إلى أعلى بينما الساحر ينتظر شيئاً ما على ما يبـدو .. ثم بدأ يظهر علامات الضيق المتزايد .. ثم بدأ يصـبح ويصرـخ مرة بعد أخرى ولا مجيب .. وفجأة يلقـى بعبـاته ويحمل سيفـا كان بجانـبه .. يمسـكه بأسنانـه ويبدأ في تسلـق الحبل .. وفي أقل من ٣ ثوانـ كان الساحر أيضاً قد اختفى عن الأنـظار .. وساد صـمت لعدة دقائق بينما الجميع يحملـق في المكان الذي اختـفى فيه الحـبل ..

وفجأة تهـتز أرجـاء القـصر بصـراخ شـديد .. شـعر الشـيخ أبو عبد الله بـأن الدـم في عـروقه قد تـجمـد .. إنـها أعنـف صـرـخـات لـطـفل في رـعب خـوفـاً على حـيـاته .. بدأ الشـيخ يـهمـهم ويـدعـو ربـه أن يـنقـذ الطـفل .. وجـرى الشـيخ نحو المـكان الذي صـعد إلـيـه الطـفل في السـماء .. ولكنـه لم يـر شيئاً .. واستـمرـت الصـيـحـات والـصـرـخـات المرـعـبة .. ثم فـجـأـة تـوقـفت ثم ظـهـرت نقطـة في السـماء تسـقط بـسرعة ويزـيد حـجمـها .. وسـقطـت على الأرض بـجـوار الشـيخ ، ما هذا؟ إنـها يـدا الطـفل لا تـزالـ تنـزـفـان حيث إنـهما اـنـتـزـعـتا من جـسـده منـذ قـليل .. تـراجـع الشـيخ رـعـبا .. وظـهـرت نقطـة أخـرى في السـماء .. إنـها الذـراع الأخـرى للـطـفل .. ثم قـدمـاه .. ورـجلـه حتى الرـكـبة .. وجـزـء آخر من الـقـدم .. ثم رـأس الطـفل وعلى وجهـه مرسـوم كلـ الفـزع ..

ركـع الشـيخ على رـكـبـتيـه يـبـكي وبـينـما هو هـكـذا رـأـى السـاحـر

ينزل على الجبل الجلدي .. بجوار ضحيته .. وسرعان ما ألقى عباءته الرائعة فوق بقايا الطفل وبدأ يُؤدى رقصات شريرة .. كما لو كانت رقصات النصر وهو يقفز ويقفز لأعلى .. ثم يتوقف ويلتقط سيفه الدامي ويضعه في غمده .. وبقوّة يحمل عباءته ويضعها على كتفيه في نفس اللحظة التي يظهر فيها الطفل سليماً في يده اليمنى يمسك الكرة الخشبية وهي تسقط من السماء .. في تلك اللحظة يعتقد الشيخ أنه قد أصيب بأغماء حيث إنه يتذكر أنه فوجيء بالضيوف الآخرين يساعدونه والحاكم يقدم له الماء .. وعندما أفاق وبدأ يصف ما رأى اندخش الآخرون تماماً بوصفه .. وأكدوا له أنهم لم يروا حبلًا .. أو طفلاً يتسلق .. أو أجزاء من جسد تسقط من السماء .. وكل ما شاهدوه كان رقصان عنيفًا والعاباً بهلوانية يقوم بها رجل يرتدي عباءة ومعه طفل صغير ..

ماذا حدث حقاً؟ .. هل شاهد الشيخ فعلاً حيلة الجبل .. أو هل كان في حالة من الدخول الروحى؟ ولماذا كان من بين كل الضيوف هو الوحيد الذي رأى ما اعتقد أنه قد حدث.

إن نفس هذه الأسئلة يتم توجيهها لكل من حكى حيلة الجبل الهندية .. فوصف الجميع لها يتفق في عمومه دون دليل مؤكد .. واعترف كل من شهدوها بأنه لم يجرؤوا - فيما بعد - على مناقشة ما رأوه مع أقرب الناس إليهم .. والأوصاف لهذه الحيلة ..

القصة غريبة .. وتكررت على مدى قرون .. وقد أجرى بحث مكثف قامت به لجنة الدائرة السحرية عام ١٩٣٤ التي كان يرأسها وقتها اللورد أمبتييل .. الذي كان ذات يوم نائب حاكم الهند .. وقررت اللجنة، بعد الاستماع لشهادة الكثيرين، أنه ليس هناك شيء مثل خدعة الجبل الهندي .. وهناك سببان لهذا .. الأول

هو أن كل القصص التي تحكى غامضة .. وغير مقبولة .. والثاني هو صعوبة تنفيذ ما يقوله الزاعمون سحراً .. وانتهت اللجنة إلى أن هؤلاء الذين قالوا إنهم شاهدوا خدعة الحبل الهندي لم يقولوا كل الحقيقة ..

وبرغم ذلك فإن تقرير اللجنة أدى إلى تزايد الحديث عن خدعة الحبل الهندي في مجلة «لستز» .. ودفع الدائرة السحرية إلى أن تعرض جائزة مقدارها ٥٠٠ جنيه (وكان مبلغاً كبيراً عام ١٩٣٤) لأى ساحر يمكنه إدراك خدعة الحبل الهندي .. فتقدم ساحر يدعى كاراتش أثار اهتمام هاري برايس السكرتير الشرفى لجامعة مجلس الأبحاث الروحية بلندن .. وجه برايس الدعوة لكاراتش لأداء الخدعة في لندن .. وفي البداية رفض كاراتش الموقع الذى تم اختياره وكان حديقة فى مدينة هامبستيد .. وقال إنه يفضل العمل في مكان متسع .. وسمح لكاراتش (واسمه资料ى آرثر كلاود ديربى) لاختيار الموقع بنفسه .. فاختار مكاناً قرب هير تفورد شاير وبقى فيه عدة أيام يستعد للعرض ..

وفي يوم ٧ يناير عام ١٩٣٥ قام كاراتش بعرضه .. ونشرت مجلة «ليستز» موضوعاً مصوراً عنه في ٦ يناير ١٩٣٥ .. تجمع عدد كبير من شهود العيان في الحفل في إحدى ليالي الشتاء الباردة لمشاهدة الخدعة الشهيرة يؤديها رجل إنجليزي وأبنه وقد قاما بتفطية وجهيهما باللون الأسود .. وكمالية «تسخين» قام كاراتشى وأبنه ببعض ألعاب التوازن .. قبل أن تبدأ اللعبة الكبرى .. ألقى كاراتش بحبال للحاضرين .. وكان عبارة عن حبل عادى يبلغ طوله ٦ أقدام .. ثم أخذ كاراتش الحبل خلف ستارة من القماش متعددة الألوان .. وظهر الحبل وكأنه يرتفع من خلف الستارة .. وصعد الحبل (إذا كان هو الحبل فعلًا) إلى ارتفاع ٥ أقدام .. ثم بدأ ينزل ببطء خلف الستارة ثم ألقى كاراتش بحبال

آخر عادى للحاضرين .. ثم سحبه وبدأ الحبل يرتفع إلى ٨ أقدام .. وعند هذه النقطة وقف كاراتش وأمر ابنه أن يتسلقه .. وسرعان ما نفذ الابن الأمر .. ثم نزل مرة أخرى وانتهت اللعبة ..

وتم تصوير العرض على فيلم سينمائى ولكن بعد أن تم تقديمها إلى اللجنة رفضت تقديم الجائزة لكاراتش .. وردا على هذا الموقف أعلن كاراتش تحديه للجنة وعرض أن يؤدى الخدعة فى ظروف وبشروط يحددها هو .. ولكنه لم ينفذ ما قال ..

بعدها بعشرين عاما .. حرق شخص آخر من الباحثين عن المعرفة وهو الصحفى المغامر جون كيل - الذى اعتقد أنه قد عرف السر - قليلا من النجاح فى أداء التجربة .. وكانت السمة الخاصة به - كما يقول فى كتابه «جادو» هي السحر .. الفن المحظوظ .. وكان ميدان عمله المفضل هو تلال أفريقيا وسهول الهند .. وفي سعيه وراء المعرفة وجد كيل نفسه فى منطقة ساكندرabad حيث علم أن هناك ساحرا لديه بعض المواهب ..

وخرج كيل ليجد هذا الرجل .. وبحث طويلا دون جدوى .. وفي النهاية وعلى قمة أحد التلال جلس لستريح قليلا بجوار بناء له قبة بيضاء .. ونظر بجواره فوجد رجلا عجوزا .. كان العجوز يرتدى مئزرا مما يرتديه الهنود وقبعة صغيرة فوق رأسه .. وفوجئ كيل به يناديه باسمه .. وعندما تحدث إليه قال الكثير من الأشياء الخاصة عنه .. وتوقف برها ثم قدم إليه نصيحة خاصة بما كان يفعله فى الليلة السابقة ولم ينجح فيه ..

اندهش كيل .. ولكن الشكوك ساورته - وهو ما أدركه العجوز - الذى قال له إن الكثير من الأشياء التى يعتقدها - أى كيل - مستحيلة هى أشياء ممكنا وأنه يمكنه - على سبيل المثال - أن يقول له كيف تؤدى خدعة الحبل الهندى .. وقال له أيضا إنك

ياكيل لديك قوى داخلية هائلة لم تكتشف بعد .. وإذا توصلت إليها فإنه سيكون بإمكانك العثور على إجابات لكل ما تبحث عنه ..

ولم يقل العجوز شيئاً آخر .. كما لم يسمح لكيل بأن يصحبه حينما قرر العودة .. وتركه محملقاً في الفراغ وهو يدرك أنه على الأقل قد تعلم سر خدعة الحبل الهندي التي أثارت العالم الغربي طويلاً. وهذا السر - على حد قول كيل - بسيط جداً «فالسر لا يمكن في الأرض ولا في الحبل ولكن في الهواء .. والأسلاك التي ترفع الحبل إلى أعلى .. ففي العصور القديمة كان السحرة يستخدمون حبلًا طويلاً مصنوعاً من شعور سوداء .. وكانت الخدعة تقدم بسبب عدم رؤية هذه الحبال .. ولكن كيف يظل الحبل مشدوداً إلى أعلى .. يقول كيل إن الخدعة تتم في المناطق الجبلية وليس في أماكن صحراوية .. وفي وادٍ بين اثنين من التلال .. والحبال غير المرئي كان يربط ما بين قمة تل وقمة تل آخر .. وعندما يرسل الساحر حبله فإنه يمسك بهذا الحبل الذي لا يمكن لأحد أن يراه في ظلمة الليل .

وهناك تفسير بسيط أيضاً لحالات اختفاء الصبي الصغير الذي يتسلق الحبل إلى السماء حتى يختفي .. فإن المشاعل أو الفوانيس - كما يقول كيل - تصيب المتفرجين بالعمى الليلي عندما ينظرون إلى السماءظلمة ..

وهكذا ففي بداية العرض يلقى الساحر بالحبل مرة أو اثنتين حتى يصل إلى مشبك في نهاية الحبل غير المرئي يدخل في فتحات الكرة الخشبية .. والمرة الثانية يلقى بالكرة ذاتها حيث يكون هناك مساعد يربطها بنهاية الحبل .. وبعدما يستدعى الساحر ابنه ويطلب منه تسلق الحبل .. وبالطبع يتتحمل الحبل وزن الطفل الصغير .. وعندما يصل الطفل الصغير إلى نهاية الحبل فإنه يقوم

بتثبيت الكرة بقوة أكثر إلى الحبل غير المرئي حتى تتحمل وزن الساحر ..

وعندما يصل الساحر إلى نهاية الحبل فإنه يستخرج أجزاء مختلفة من عباءته الفضفاضة وهي أجزاء من حيوان مذبوح قبل قليل من بدء التجربة .. وغالباً ما يكون قرداً مذبوحاً ملفوفاً في ملابس مماثلة لما كان يرتديه الطفل .. ويببدأ في إسقاط أجزاء من الحيوان المذبوح بينما صرخات الطفل تتعالى .. حتى يلقى بالرأس في النهاية ملفوفة في عمامة ..

وبينما ينشغل المساعدون في تجميع أجزاء القرد المذبوح ووضعها في سلة ضخمة يضع الساحر الطفل في ثوب مجهز معه .. وب مجرد أن يظهر الطفل من ملابس الساحر يكون هذا كافياً لإثارة تعجب المتفرجين الذين لا يفكرون في شيء باستثناء ظهوره هكذا مكتملًا بينما هم ينظرون إلى أجزاء جسده المقطعة التي لا تزال تنزف منها الدماء ..

وإذا قرأت هذا السر وربطته بالقصة التي رواها الشيخ أبو عبد الله فإنك سوف تجد تفسيراً للعديد من الأشياء التي رواها.

وبرغم كل هذه التفسيرات المقنعة فإن جون كيل قرر أن يقوم بتجربته على خدعة الحبل الهندي في نيودلهي .. وبعث بالدعوات واشتري حبلًا طويلاً وعثر على طفل ذكي يشاركه التجربة .. واختار ملعباً للجولف مليئاً بالأشجار يقع بجوار معبد قديم .. وصنع مجموعة ضخمة من الخيوط السوداء حتى يصنع حبلًا يرتفع إلى ٥٠ قدماً في الهواء ..

وكان الطقس مشمساً .. والسماء صحو في ذلك اليوم .. وتجمع ٥٠ صحيفياً لحضور العرض .. وفي اللحظة الأخيرة

العاصفة شديدة واشتدت الرياح بشكل يقول كيل إنه لم يجربه في الهند من قبل .. مما أدى إلى تدمير كل التجهيزات المسبقة .. وهرب الطفل من المكان الذي كان مختبئاً فيه .. وأصيب كيل بخيبة أمل شديدة ..

وإلى الآن لم تقدم هذه الخدعة بنجاح أمام جماهير المتفرجين برغم أن السرقد أذيع .. ولم يتقدم أحد لنيل الجائزة من الدائرة السحرية .. ولم يحل أحد هذا اللغز .. ولا أحد يعرف سر هذه العاصفة التي فعلت ذلك بسبب الغيرة من هذا الإنجليزي الذي كشف عن أسرارها القديمة .

مدام بلافاتسكي وقدرات خاصة
على تحريك الأشياء وقراءة
الأفكار .

بعد موتها اشتعلت النار في
كل ما حولها .. ماذا تعلمت في
رحلاتها إلى العالم الخارجي ؟

٤

٤ - الشرق الغامض : « مدام بلافاتسكي والمهاجم »

كلير سميث

كانت مدام هيلينا بتروفنا بلافاتسكي سيدة رائعة غير عادية حقا .. فقد أسرت شخصيتها القوية النابضة بالحياة الباب الناس وسحرتهم .. وأصبح لها أصدقاء كثيرون ولكنها في غالب الأمر كانت تصرف عنهم .. وبالرغم من أنه ثبت أن إقناعها لكل من عرفتهم تقريبا كان يعتمد على الحيلة والخداع في بعض الأحيان فقد بقيت تعاليمها حتى يومنا هذا .. ومن المستحيل إلا نسلم بأنها كانت تمتلك قوى وقدرات غير عادية .. ومن المستحيل أيضا إلا يعجب المرء بشجاعتها وحماسها ومثابرتها .. حتى في مواجهة السخرية والمصاعب ..

ولدت مدام بلافاتسكي في إقليم أيكانزيينسلاف بروسيا سنة ١٨٣١ .. كان والدها ، وهو الماني في خدمة القيصر ، حاكما لأحد الأحياء ، من الطبقات النبيلة .. أما من ناحية الأم فقد كانت حفيدة الأميرة هيلين دولجروكى التي كان أجدادها يرتبطون بروابط وثيقة بالعائلة الحاكمة ..

ولدت هيلينا طفلا مبتسرة مريضة ضعيفة .. ولهذا فقد تم الترتيب لتعييدها سريعا باستدعاء القس والشهود .. وعندما نطق القس نيابة عنها التخلى عن الشيطان اشتعلت النار في ثوبه .. وأصيب الكثيرون بحرائق ..

وقد اعتبر هذا.. كعادة أهل المنطقة.. نذير شر.. ولم يفاجأ أحد عندما بدت الطفلة وهي تتحول إلى ساحرة.. كانت الحوريات والجان هم رفقاءها الدائمين على الأقل داخل عقلها.. وبدأت خيالاتها تؤثر بقوة على المنزل الذي توجد فيه حتى إن القساوسة كانوا ينثرون عليها الماء المقدس في محاولة لطرد الأرواح الشريرة.

ولفترة خلال السنوات الأولى للعقد الثاني من عمرها سافرت هيلينا بتروفنا كثيراً مع والدها.. وقد أدى هذا التوسيع في نظرتها إلى جعلها أكثر استقلالية.. وإقناع أسرتها التي تعبت كثيراً بأن أفضل طريقة لکبح جماح اهتمامها غير الصحي بالأرواح وبالموت والفالك هو تزويجها.. وبالفعل تم ترتيب زواج بين هيلينا وكان عمرها ١٧ عاماً وبين الجنرال بلافاتسكي حاكم إقليم أريفان.. وقالت هي عن هذا الرجل التعيس الحظ إنه كان ما بين الستين والسبعين من عمره.. وإنه كان مثل غراب بلا ريش.. وربما يبدو أقرب للصحة أن يكون الجنرال بلافاتسكي في الخمسين من عمره آنذاك لأنّه عاش بعد الزواج ثلاثين عاماً أخرى.. ولا بد أنه كان يملك من الحيوية ما يكفي للتتوافق مع هذه الفتاة المستقلة الملائمة بالحياة.. ومن المعروف جيداً أنه بالنسبة لهؤلاء النساء اللائي يمارسن قراءة الطالع وعلومها، تعتبر حالة العذرية شيئاً كبيراً الأهمية.. لذلك فإنه لم يعرف ما إذا كان الزواج قد اكتمل بمعنى دخول الجنرال بهيلينا (وقد أنكرت هي اكتمال الزواج طوال حياتها) .. وإن كان الزواج لم يستمر طويلاً فسرعان ما تكرر الشجار بينهما وانسحبت العروس الصغيرة وبدأت تخرج لرحلاتها..

وفيما بعد قالت هيلينا لأصدقائها إنها سافرت من روسيا إلى القاهرة حيث أصبحت تلميذة لدى قبطى مسيئ يمتلك قدرات

سحرية .. وبعدها سافرت إلى باريس حيث قابلت داينيل دنجلas هوم .. عالم الأرواح الشهير الذي أراد أن يدربها لكي تصبح وسيطة .. ومن الممكن أن تكون هيلينا قد تعلمت منه الكثير بالرغم من أنها بعد ذلك بسنوات بذلك جهدا كبيرا في دحض علم الأرواح واتخذت لنفسها دوافع مختلفة تماماً للإتيان بمعجزاتها ..

واستمرت رحلاتها ، ففي مدينة كوبيك انضمت إلى القبائل الهندية سعيا وراء المعرفة ، وفي نيوأورليانز تعلمت الكثير من «القدودو» نوع من السحر الأفريقي الذي لم يكن معروفاً بين البيض آنذاك ..

وفي هذا الوقت بدأت فلسفة هيلينا بتروفنا ، التي أصبحت تدرس للكثيرين فيما بعد ، تتشكل في خيالها وعقلها الباطن .. ولما كان قد ظهر لها مرة أو مرتين في الحلم رجل هندي طويل حاد الملامح قالت هي عنه إنه رسول من خبراء التنجيم في التبت .. فقد قررت أن تزور التبت وتبحث عن كبار السحرة والمنجمين الذين يمكن أن يلقنوها المعرفة .. الحقيقة .. وبالرغم من أنها قالت فيما بعد إنها ظلت في عملية التلقين لمدة سبع سنوات فإن الوقت الذي قضته هناك بالتحديد لم يزيد عن عدة أشهر .. ذلك أن وسائل معيشتها التي كان يتولاها والدها لم تكن كافية للسماح لها بالسفر لفترات غير محددة .. وفي عام ١٨٥٨ وبعد ١٠ سنوات من التجوال عادت إلى روسيا ..

وعندما عادت إلى موطنها كان هؤلاء الذين يذكرونها وهي طفلة قد أصبحوا شباباً شغوفين فقط بمعرفة مستقبلهم والاستماع لقصص عن أصدقائهم الذين ماتوا .. واستطاعت مدام بلافاتسكي أن تأسر البابهم حتى إنها كانت تقدم لهم إجابات مكتوبة على تساؤلات تدور في أذهانهم .. وكانت تقدم الوصفات الطبية ..

والعلاج .. وقراءة المستقبل . وظهرت قدراتها القوية على السخط والغضب بانتقامها من سيدة كانت تشكك في قدراتها .. فعندما طلبت منها هذه السيدة أن تحدد أفضل وسيط لتلقي دقات التنجيم والسحر .. ردت قائمة «الذهب» وفي نفس اللحظة .. وقفت على قدميها ووضعت يدها على فمها .. وهنا انتزعت الحشد الذهبي بين أسنان السيدة بقوه ..

ومن الظواهر الأخرى التي كانت مدام بلافاتسكي تقوم بها في ذلك الوقت قدرتها على تغيير وزن الأشياء سواء من الجمام أو الأحياء .. وذات مرة وب مجرد تركيز نظرها نجحت في جعل مائدة شطرنج ثقيلة جدا حتى إن عددا من الرجال فشلوا تماما في رفعها .. وبعد عدة محاولات رفعت مدام بلافاتسكي يدها دون اكتراش ونظرت في مكان آخر فعادت المنضدة إلى وزنها الطبيعي ..

وربما كان أصعب من انضم إلى مريدي مدام بلافاتسكي في ذلك الوقت هو والدها .. فلم يكن الرجل غير مكتثر بمعجزاتها فحسب بل إنه كان يقول عنها إنها هراء .. وذات يوم أقنעה اثنان من أصدقائه القدامى أن يدخل حجرة أخرى ويكتب كلمة واحدة لا يعرفها أحد على الإطلاق فوق قطعة من الورق . وعاد الرجل من الحجرة الأخرى ليعلن أنه إذا ما نجحت ابنته في إقناع «أرواحها» بكشف ما قد كتب فإنه سيصبح مضطراً في النهاية إلى تصديقها ويعتبر نفسه أيضا شيئاً جاهزاً للأسر في «مستشفى المجانين» ...

ودون أن تلمس اللوح الذي كانت تستخدمه لقراءة الأفكار .. نظرت مدام بلافاتسكي في سعادة إلى اللوح تكتب عليه الكلمة .. وعندما شاهد والدها الكلمة المكتوبة ارتعش وتحول لون وجهه

إلى الشحوب .. لقد كانت هي نفس الكلمة التي كتبها .. وهي كلمة غريبة لاسم حسان محبب إليه لا إمكانية هناك لتخمينها .. وهذا تحول الرجل إلى الإيمان بقدرات ابنته وكان فخوراً بنجاحاتها وظل يساندها حتى وفاته بعد ذلك بسنوات قلائل ..

وبعد قليل عادت شهرة هيلينا بتروفنا إلى الترحال تأخذها من جديد .. وفي النهاية استقرت بالقاهرة حيث أنشأت الجمعية الروحية .. وكانت ترتزق كوسيط لبعض الوقت .. وهذه الفترة من الفترات الهامة لأنها خلالها أصبحت صديقة لمدام كولومب التي كانت تتولى ضيافتها وإمدادها بالمال .. ولكنها أصبحت في فترة تالية من حياتها هي العامل الرئيسي في الانتقاد من قدراتها وشهرتها التي عملت مدام بلافاتسكي لسنوات عديدة من أجل تحقيقها ..

هذه الفصول الأولى من حياة مدام بلافاتسكي هي فصول موثقة بصورة غير كاملة .. ولكن قصتها المعروفة تبدأ بالفعل منذ وصولها إلى أمريكا في بدايات عام ١٩٧٠ وللقائها مع الكولونييل هنري أولكوت .. الذي تولى كتابة قصة حياتها وكان لديه اهتمام بالبحث عن الحقيقة .. وبالرغم من أنه قد يكون منها فائدة الشك في العديد من الأمثلة فإنه كان صحفياً .. أى رجلاً من أصحاب العقل الفضولي .. ولم يكن أحمق أو غبياً .. فإذا كانت مدام بلافاتسكي هي الينبوع الذي شربت منه الجمعية الشيوصوفية .. أو التأملية الفلسفية فإن الكولونييل كان هو المدير .. وهو المؤمن بها .. وبرغم أن العلاقة بينهما كانت عاصفة أحياناً فإن الاتحاد بين مواهبهما خلق إيماناً استمر .. صحيح أنه بين أقلية .. ولكنه استمر حتى يومنا هذا ..

كان اهتمام الكولونييل أو لكتوت بالروحانيات غير عادي وفي

أكتوبر عام ١٨٤٧ حضر الكولونييل جلسة روحية اشتراك فيها وسيطان هما الأخوان أبيرى .. فى ذلك الوقت جذب انتباوه بقوة مشهد مليء بالحياة .. فى ذلك الوقت كانت مدام بلافاتسكي ترتدى قميصا أحمر براقا لاما وربما لم تكن أكثر بدانة فى أي وقت مثلما أصبحت بعد ذلك .. ولكن شخصيتها القوية تسسيطر تماما على أي مكان توجد فيه .. وقد وصفت هي مظهرها بنفسها بأنها «قلموقية بوذية طريرية» والقلموقية هي فرق من إحدى قبائل القلموق المغولية البوذية .. وهى صاحبة وجه غريض مسطح وملامع قاسية يوازنها يدان جميلتان صغيرتان يزيزنها العديد من الخواتم .. أما عيناهما فلونهما بين الأزرق والرمادى واسعتان معتبرتان قويتان .. وشعرها بني اللون كثيف متعدد كصوف الماشية ..

وقد اصطبغت أصابع اليد اليمنى بلون بني من السجائر التى لا تتوقف عن تدخينها وكان هذا شيئاً غريباً فى تلك الأيام .. وكان حديثها بأكثر من لغة وكانت تحشده دائمًا بالقسم للتأكيد ..

و قبل أن تنتهي هذه الأمسيه كانت مدام بلافاتسكي قد أسرت لب الكولونييل أولكوت الذى لاحظ بالإضافة إلى ذلك أن الأخرين أبيرى وباقى الوسطاء الروحيين قد حققوا نجاحاً أكبر فى وجود مدام بلافاتسكي فى الجلسة ... وهذا جاء تأكيداً لحقيقة أن الأرواح الحقيقية فقط هى التى استدعى .. ليس هذا فقط بل إن هؤلاء الوسطاء الروحيين كانوا يخضعون لسيطرة أرواحهم التى يستدعونها بينما مدام بلافاتسكي فى ظروف مماثلة كانت هى التى تسيطر على الأرواح لكي تنفذ إرادتها وهى بكامل وعيها ..

ونتيجة لاهتمام الكولونييل أولكوت بها ومقالاته فى الصحف حققت مدام بلافاتسكي شهرة ضخمة فى أمريكا .. وأخذت شقة

في نيويورك أطلقت عليها اسم «دير الرهبان اللاميين» ملائتها بمجموعة من الحيوانات والطيور المجنحة مثل الثعابين والقرود والبوم وبرأس أسد معلقة في الجدار .. وفي وسط هذا صنعت مكان جلستها وهي ترتدى ثوبها المفضل وهو عبارة عن أقمشة صحراء، اللون زيتية .. وكان تأثير هذا الجو يبدو مضحكاً لغرابته ولكن حفاسها مع شخصيتها الجذابة كان يجمع حولها الصفوة من كل هؤلاء المتطلعين لمعرفة المستقبل وقراءة الطوالع وهو ما كانت أمريكا كلها آنذاك شغوفة به ..

وفي عام ١٨٧٥ كانت نقطة تحول في حياة مدام بلافاتسكي .. فمن الروحانيات قررت أن تتحول إلى هؤلاء الزعماء الدينيين الذين طالما فكرت في أنهم سوف يرشدونها إلى كشف ونشر المعرفة حول القوانين التي تحكم الكرة الأرضية .. ومن أجل هذا قامت بالاشتراك مع الكولونيل أولكتوك . جورج وهو أحد قراء الطالع بتأسيس الجمعية الثيوصوفية (أو التأملية الفلسفية) .. كان هدف الجمعية هو السيطرة على قوى الطبيعة من خلال هؤلاء الخبراء سادة المعرفة من سكان التبت .. هؤلاء السادة أو المهاة يمكنهم تجسيد أنفسهم والأشياء الطبيعية الأخرى حيثما يريدون - ويمكنهم أن يروا الماضي ويطلعوا على المستقبل ويطيلوا حياتهم بإرادتهم .. إن بإمكانهم أن يستخدموا قدراتهم من أجل الشر وهناك بالتأكيد .. على حد قول مدام بلافاتسكي - من يقومون بذلك ولكن اهتمام الجمعية يقتصر فقط على العمل من أجل الخير ..

وعلى الرغم من أن إنشاء الجمعية تم بشكل جيد إلا أن مدام بلافاتسكي والكولونيل سرعان ما واجها مصاعب مالية ولم يجدا من الأموال ما يكفى لتوسيع نطاقها .. لذلك رحبت مدام بلافاتسكي والكولونيل بأن يدخل إلى دائرة رجل مُسئٌ غنى

يدعى البارون دى بالم .. وبعد قليل من انضمامه إلى الجمعية كتب هذا البارون وصية أعلن فيها ترك كل ممتلكاته للكولونيل أولكوت لاستخدامها من خلال الجمعية التيوصوفية .. ثم مات البارون بعد فترة قصيرة .. وتلقت الجمعية التهانى على ما ورثته عن البارون ولكن خاب أملهم عندما اكتشفوا أن كل ثروات وأراضى البارون ثبت أنها خيالية .. فقد كان يعيش لسنوات على حساب الآخرين .. وكانت الوصية هي آخر النكات التى أطلقها ..

وتعاقبت الأمور من سوء إلى أسوأ .. فبينما أصبحت الجمعية مثاراً للسخرية بالفعل .. دخلت فى أمر آخر يسىء لسمعتها ، من جانب مدام بلافاتسكي ذاتها .. فلسبب لم يعرف له أحد تفسيراً (وخاصة أن الجنرال بلافاتسكي كان لا يزال على قيد الحياة) تزوجت من شاب أرمنى جلف أصغر منها بكثير .. ربما لأنها اعتقدت أنه من الأثرياء .. وعلى أى مستوى لم تسمح هى مطلقاً للزواج بأن يكتفى وبعد أشهر قليلة عندما اكتشفت أنه لا يملك شيئاً تركته ..

وفي هذه الأثناء صدر كتابها الأول وعنوانه معناه كشف أسرار إيزيس ، وكان عملاً رائعاً عبارة عن مجموعة متنوعة من الأديان والمعتقدات والأساطير من كل العصور والأماكن .. وشهد أولكوت الذى كان معها خلال كتابة هذا العمل أنه مقنع تماماً بأنه فى وقت كتابة العمل لم تكن مدام بلافاتسكي ولكن كان هناك روح أحد خبراء الأديان تسكن جسدها مؤقتاً وبالفعل فإن مثل هذه الاختلافات فى الأسلوب والثقافة والأدب فى عمل واحد من الصعب تفسيرها وقد زاد الكتاب كثيراً من شهرة مدام بلافاتسكي ، ولكنها قررت أن تتوقف للحظة وتبداً فى الدراسة بدلاً من التدريس .. وقررت هى والكولونيل أولكوت السفر إلى الهند .. حيث كان قد تم قبل وصولهما بفترة إنشاء جمعية اسمها (أريا

ساماج» بهدف إحياء المبادئ القديمة والأسرار الصوفية للديانة الهندوكردية .. وكان رئيس هذه الجمعية على اتصال بالكولونيل أولكت .. لذلك فإن سفره هو ومدام بلافاتسكي إلى الهند كان ردًا على دعوة منه للزيارة ..

ولدى وصولهما إلى بومباى عام ١٨٧٩ قام الكولونيل بالانحناء ، وتقبيل الأرض وكانت تلك الحركة لها انطباع عظيم .. وقامت جمعية إربا ساماج بالترحيب بضيوفها على الرغم من أن الدوافع لم تكن خالصة .. فقد سعد أعضاء الجمعية بوجود منظمة أمريكية هي الجمعية الثيوصوفية تقف إلى جانب الأعمال الهندية في حكومة ذاتية .. وفي الحقيقة فإن مدام بلافاتسكي حملت حماسها للطموحات الهندية إلى مدى كبير حتى إنه بعد وقت قصير من وصولها إلى هناك أصبح البوليس يتبعها ..

وأدركت مدام بلافاتسكي أنها لا يمكنها أن تتجاهل تماماً المجتمع الأوروبي إذا كانت تريد أن تحقق نجاحاً في توسيع نطاقات الجمعية .. وقد كتب أ. ب. سينيت رئيس تحرير إحدى الصحف الناطقة باللغة الإنجليزية لدى وصولها .. وبوصفها واحدة من العرافات فقد كان مستعداً لإعلان تأييده لها وكان عليها أن تفعل كل ما باستطاعتها لكي تناول ثقته .. برغم ذلك وحتى يمكنها أن تقابلها قاتل ومعها الكولونيل بالسفر إلى العديد من المناطق في الهند لسؤال الناس والدراويش ومعلمى الديانة الهندوسية سعيًا وراء المعرفة ..

وبعد أشهر قليلة من وصولهما إلى الهند أصدرت مدام بلافاتسكي والكولونيل أولكت نسخة من المجلة الثيوصوفية .. وبعيداً عن المقالات الرائعة حول السحر والتنجيم وقراءة الطالع في الغرب والمواضيع الأخرى المتخصصة فيها حظيت فلسفات

الشرق والكتابات الهندوسية المقدسة وما أشبه بنقاش دقيق ومتخصص .. ونجحت المجلة بصورة كبيرة وأفادت كثيرا في شهرة مدام بلافاتسكي في الهند .

وبعدها دعيت مدام بلافاتسكي والكولونيل إلى ولاية الله آباد للإقامة لدى أ. ب سينيت وزوجته . وقد أثارت تصرفات مدام بلافاتسكي الحادة ومظهرها الغريب ارتباك أ. ب سينيت ولكنه اكتشف أن كل أصدقائه يعتبرونها شخصية شاذة بصورة غير عادية .. فقد دعيت إلى العديد من المنازل لكي تقوم بعرض معجزاتها وقدراتها العجيبة التي كان الكولونيل أولكت يبذل جهدا كبيرا في الإعلان عنها .. وإن كانت هي في ذلك ترفض أداء مثل هذه العروض دائما بقولها إن معلميها يرفضون القيام بهذه العروض للمظاهرة بصورة مستمرة .. وأن المعرفة والعلم يجب عدم استخدامهما بهذا الأسلوب ..

ولم يكن هناك أى شك في قدرة مدام بلافاتسكي لدى سينيت والأخرين من المجموعات المتزايدة من الذين انضموا إلى جمعية الشيوصوفية برغم نوبات الغضب التي تنتابها عندما يطلب منها إظهار معجزاتها ، وقد اختاروا مدام بلافاتسكي لتكون ممثالتهم عند الزعماء الروحيين برغم الإحباط الذي يصيبهم من أنهم أنفسهم يلتقط أى رسالة من هؤلاء الزعماء .

وجاء وصول الأصدقاء القدامى من أسرة كولومبس إلى الهند ليسعد مدام بلافاتسكي .. كذلك يجب الاعتراف بأن بلافاتسكي لم تكن تحب الاحتفاظ بخدم ، لذلك فإنها قد كانت تشكر لصديقها القيام بهذا العمل .. وكان معها في المنزل أيضا شاب مصاب بالدربن مثير للشفقة قطع كل علاقة له بأسرته من أجل البقاء لدى بلافاتسكي ..

وسافرت مدام بلافاتسكي إلى سيلان مع الكولونيل أولكوت بدعوة من كبار الكهنة البوذيين .. وقد شعرا أنهم مرتبطان نفسياً بالديانة البوذية حتى إنهم سرعان ما دخلا فيها .. وبرغم إقامة العديد من فروع الجمعية الشيوصوفية في سيلان فإن النجاح الذي حققه بلافاتسكي وأولكوت بين البوذيين لم يخدم روابطهما مع جمعية أريا ساماج الهندوسية . فلدى عودتهما إلى الهند طلب رئيس جمعية أريا ساماج ضرورة إنهاء الرابطة مع الجمعية الشيوصوفية .. وتم الاتفاق على ذلك ولكن بعد فترة ذهبت جمعية أريا ساماج إلى ما هو أبعد من ذلك فقامت بتشويه سمعة الشيوصوفيين وقالت إنه ليست لهم عقيدة معينة وإنهم لا يملكون أموالاً خاصة بهم .. ولم يؤثر هذا كثيراً على مدام بلافاتسكي فقد كانت منشغلة في بناء مذهب جديد ..

وعندما دعاها سينيت للإقامة لديه أعلنت مدام بلافاتسكي أنها أصبحت في النهاية تحصل على توجيه من زعيم ديني جديد وهو المهاجم كوت هومى .. ولم تعد مبتدئة غير صالحة لإظهار دليل على وجود المعرفة .. وعلى العكس فقد كانت سعيدة بالاتصال برغباتهم ومنحهم وأرائهم لهؤلاء الذين يستحقونها ..

وفي أي اجتماع لها .. كانت أصوات الموسيقى تملأ المكان .. وتتحرك الأشياء من مواقعها بدون قوة مرئية .. ووُقعت معجزتان كلتاها في ضوء النهار .. فيبينما مدام سينيت في نزهة بالخارج بعد حديث بينها وبين مدام بلافاتسكي انتهت إلى أنها أى مدام سينيت في حاجة إلى دليل مادي وشخصى من واحد من المهاجمات لكي يتتأكد ويقوى إيمانها .. وكتبت مدام بلافاتسكي ورقة صغيرة ثم أغلقتها وألقت بها .. وأشارت إلى إحدى الأشجار البعيدة .. وعندما ذهبت مدام سينيت إلى حيث الشجرة شجب لونها وهي تقرأ : «أعتقد أنه طلب مني أن أترك رسالة هنا . ماذا تريدين

منى؟ .. والتتوقيع أحد شخصيات جبال التبت .. وأدركت مدام سينيت أن هذا لا يمكن أن يحدث إلا عن طريق قوى خارقة .. وبالفعل ظلت ترى هذا الذي حدث مما زاد من شهرة مدام بلافاتسكي .

أما الحدث الثاني فقد وقع في وجود أغرب وكان له تأثير أكثر قوة .. فقد رتبت مدام بلافاتسكي والكولونيل أولكتوت وسينيت وزوجته لنزهة مع سيدة أخرى وزوجها لا علاقة لهما بالثيوصوفية وملأت المجموعة سلالها وبينما هم في الطريق انضم إليهم صديق إنجليزي يعمل قاضيا وطلب منهم أن يذهب معهم .. ولدى وصولهم إلى المكان الذي سيقضون فيه يومهم اكتشفوا أن عدد الفناجين والأطباق ٦ بينما عدد المنضمين للرحلة ٧ .. وهنا اقترح الموجودون على مدام بلافاتسكي أن تقدم لهم شيئاً مادياً .. وعلى الفور نظرت مدام بلافاتسكي إلى رفيقهم في الرحلة الميجور هندرسون .. وطلبت منه الذهاب إلى مكان معين وأن يحفر قليلاً في الأرض بسكين .. وما هي إلا لحظات حتى وجد هندرسون تحت الأرض فنجاناً وطبقاً ..

وهنا ظاهرة أخرى تستحق الذكر .. فيبينما كانت مدعوة إلى حفل عشاء في منزل صديق يدعى مستر هيرمن .. قالت مدام بلافاتسكي لزوجته إنها تستطيع أن تعثر لها على شيء تريده يكون قد ضاع منها .. فسألت مسز هيومي عن بروش من اللؤلؤ .. وهذا حددت مدام بلافاتسكي مكاناً معيناً وهو إناء للزهور في إحدى حجرات البيت وطلبت من أحد الموجودين أن يبحث فيه .. ولدهشة الجميع عثر الشخص على هذا البروش ملفوفاً في ورقة في نفس المكان ..

بعدها ارتبطت مدام بلافاتسكي أكثر بسينيت وبدأت علاقاتها بالمهاتما كوت هومى تتزايد وتتزايىد معها المعجزات .. وكذلك

بالصديق الجديد مستر هيرمى .. وكانت ردود مدام بلافاتسكي باعتبارها وسليمة بينهما وبين كوت هومى تظهر بأكثر من طريقة سواء بأوراق تظهر مكتوبة فجأة فى الهواء .. أو تكتب على أيدى من يحضرون جلساتها .

وفى العام التالى .. تزايد اهتمام مدام بلافاتسكي بمجلتها وبكتاباتها .. كما سافرت إلى أكثر من منطقة فى الهند .. تستعرض قدراتها وتعلم من الاتصال بالآخرين .. ثم مرضت مرضًا آخر شديداً وأصيبت بقرحة ، وعلى الرغم من ضعف صحتها فإنها قامت برحالة طويلة إلى منطقة دار جيلينج ثم عبرتها إلى منطقة سيكيم حيث قالت إنها التقى مع مجموعة أخرى من الزعماء الدينيين حيث شفيت سريعاً .

وربما كان من أهم الأحداث التى جرت بعد هذا عندما ظهرت روح المهاتما كوت هومى فى جسد مادى لهؤلاء من أعضاء الجمعية الشيوصوفية الذين كانوا قد يئسوا من مجرد رؤية زعمائهم الروحيين .. وكان ظهوره على هيئة شخص أبيض اللون يرتدى عمامة هندية .. وكان يبقى لدقائق ثم يختفى .. وكان شهد العيان لهذه الواقع كثيرين وتزايدت شهرة الجمعية الشيوصوفية ..

وفي مقر الجمعية فى أديار أنشأت مدام بوفاتسكي معبدًا امتلاً بصور الزعماء الروحيين .. وأصبح المعبد شهيراً لأنـه كان المكان الذى تتلقى فيه الرسائل منهم حتى فى غيابها .. وينذكر أنه فى إحدى المرات عندما كانت مدام بلافاتسكي فى الخارج لزيارة بعض الأصدقاء دعى الجنرال مورجان إلى منزلها فى أديار لرؤيه المعبد .. وعندما فتح المعبد فوجيء الجنرال بطبق يسقط على الأرض ، ويتحطم .. فأسرعـت مدام كولومبو صديقة بلافاتسكي والتقطت بقايا الطبق وقامت بلفها فى قطعة قماش ووضعتها فى

مكان ما وأغلقت أبواب المعبد ، وعادت مدام كولومبو لفتح لفة بقانيا الطبق لتجد رسالة من كوت هومى .. وترى الطبق سليما .. وسافرت مدام بلافاتسكي إلى إنجلترا لإجراء مقابلة مع لجنة جمعية الأبحاث الروحية .. وكان بصحبتها الكولونيل أولكوت .. بينما بقى الزوجان كولومبو في المنزل لرعايته .. وفي لقائهما أعطت مدام بلافاتسكي تصريحها كاملا لعضو من اللجنة لزيارة الفروع الهندية للجمعية الشيوصوفية وإجراء أي تحقيقات يراها ضرورية .

وفي خلال هذه الفترة شعرت صديقتها مدام كولومبو بأنها على وشك الطرد في غياب مدام بلافاتسكي من جانب الأعضاء الآخرين من الجمعية .. وعانت كثيرا ولم تكن تجد ما تقيم به أودها وتعرضت للابتزاز من جانب أعضاء الجمعية وبحثت عن مبلغ من المال لإسكاتهم بعد أن هددوا بتشويه سمعة مدام بلافاتسكي ولكنها لم تجد هذا المبلغ ..

. وسرعان ما بدأت مجلة الكلية المسيحية في مدينة مدراس نشر ما أطلقت عليه «رسائل كولومبو» .. قالوا فيه إن كل ما اقتنع الصحفى سينيت والآخرين من قدرات مدام بلافاتسكي كان عبارة عن غش وخداع .. وأسرعت مدام بلافاتسكي والكولونيل أولكوت بالعودة ولو كانت قد رفعت دعوى ضد مجلة الكلية المسيحية في مدراس وصديقتها مدام كولومبو لكان بإمكانها كسبها .. ولكن أولكوت وجد أنه من غير الحكمة أن يجعل امرأة مثل مدام بلافاتسكي تجلس في مقعد الشهود .. ولم تكن هذه هي الكارثة الأولى .. فقد قدم عضو جمعية الأبحاث الروحية تقريراً اتهم فيه مدام بلافاتسكي بأنها جاءت إلى الهند جاسوسة سوفيتية .. وقال

إن كل ما زعمته مدام بلافاتسكي كان عبارة عن مجموعة من
الخدع والحيل ..

وكانت هذه هي الضربة المميتة لمدام بلافاتسكي التي انهارت
بعدها قواها الصحية وعادت إلى إنجلترا وهي شاعرة بكل القهر
والظلم .. وسرعان ما بدأت تمدُّ سينيت الصحفى بكل المعلومات
عن حياتها .. وكيف بدأت تصنع أصدقاء جددأ على رأسهم مسر
آنى بيزات التى تبنت كل أفكار وتعاليم مدام بلافاتسكي .. ولم
تنفصل المرأةان ولكن حياة مدام بلافاتسكي كانت تقترب من
نهايتها .. حيث توفيت يوم ٨ من مايو عام ١٨٩١ ..

وسواء كانت هيلينا بتروفنا بلافاتسكي هي هذه الغشاشة التي
زعموها .. أو كانت حقا هي المرأة التي تسيطر على قواها
الروحية وتسيطر على الأرواح .. فإن الحقيقة التي لا يمكن
إنكارها أنها كانت امرأة ذات قوى وقدرات خاصة مرتبطة
بحماس لا حدود له ومعلومات هائلة حول السحر والتنجيم
وإيمان حقيقي في القدرة على فهم الحياة بعد الحياة مما جعل
العديد من الأذكياء يدخلون إلى عالمها ويؤمنون بفلسفتها ..

قارب الأشباح يظهر في ليالي الصيف في بحيرة أوتلون . ظهرت الفتاة بعد ٣ سنوات من قتلها .
وقالت لأبيها : إنقذني يا أبي .. فسقط صريعا .



قارب الأشباح في بحيرة أوتلون

جيمس ونتورث دائى

كنا نصطاد تحت ضوء البدر قرب منتصف الليل فى بحيرة أوتلون الواسعة القريبة من منطقة لوستون .. كانت أشعة القمر الفضية تنساب فوق سطح الماء .. بينما العصافير تطلق أغانيها قائمة من فدادين ضخمة من أشجار الغاب المحيطة بالبحيرة .. بينما صوت البط البرى يملأ المكان .. وعلى الشاطئ يبدو ضوء أصفر من منزل يقع عبر المياه السوداء لهذا الميناء الذى يطلقون عليه ميناء بورو ..

فهناك ، فى القرن الماضى ، وفي مثل تلك الليلة كان جورج بورو الذى كتب أعظم عملين عن حياة الغجر فى اللغة الإنجليزية وهما لافنجدرو .. وسيد الغجر الرومانى يشعل النيران تحت الشجر تحيط به الوجوه السوداء لأصدقائه الغجر بينما كانت عيونهم تترافقن فى ضوء النيران وهم يحتسون الخمر .. ويختارون بأغانיהם الرومانية أمام النجوم ..

اعتقد الجيران أن جورج مجنون ولكن أحدا لم يجرؤ على أن يقول ذلك لأن جورج كان رجلا قويا وعصبيا .. ومقاتلا شديد المراس .. أليس هو الذى سار مئات الأميال عبر جبال إسبانيا .. حيث الوحدة والوحشة ببساطة ليتيح لنفسه الحياة فى الجو الذى جعله يكتب الإنجيل فى إسبانيا ..

وذات صباح خرج من المنزل وقال لزوجته المحبة التي كانت تفهمه - لحسن الحظ - «إننى خارج لأنتمشى ياعزيزتى ولا أدرى متى سأعود» .. وظل فى الخارج لمدة ٣ أشهر دون أن يغير ملابسه .. وقال البعض إنه ظل سائرا على قدميه من إنجلترا حتى وصل إلى سكتلندا ثم عاد مرة أخرى إلى منزله ..

وقال أحد أصدقائه عن هذا الرجل الذى وصف بأنه سيد اللغة الإنجليزية «إنه كان معروفا بقصص الأشباح ويعتقد فى القوى الخارقة» ..

رأت هذه الكلمات فى أذنی عندما استدرت إلى فريد «المراكبى» وقلت له: «فريـد .. إننا نصطاد فى نفس المكان الخاص بمستر بورو ، وعلى مرمى البصر من منزله الصيفى القديم حيث كان يحكى قصصـن الأشباح .. لم تره مطلقا؟» فقال فـريـد: «إنـ هـذا المـكان مـلىءـ بالـأشـباـح .. وبـقـصـصـ الـأشـباـح .. هـنـاكـ الـكـلـبـ الـأـسـوـد .. وـهـوـ كـلـبـ فـيـ حـجـمـ العـجـلـ لـهـ عـيـنـ وـاـحـدةـ فـيـ رـأـسـهـ، تـبـرـقـ مـثـلـ الـمـصـبـاح .. وـهـنـاكـ شـبـعـ، كـمـاـ يـقـولـونـ، لـكـاهـنـ وـسـطـ أـطـلـالـ قـلـعـةـ بـرـغـ .. وـلـكـنـ الشـبـعـ الـذـيـ يـتـحـدـثـونـ عـنـهـ كـثـيرـاـ هوـ شـبـعـ سـفـيـنةـ تـجـرـىـ عـبـرـ هـذـهـ الـبـحـيرـةـ بـعـدـ مـنـتـصـفـ الـلـيلـ فـيـ يـوـنـيـوـ .. وـإـذـاـ ماـ رـأـيـتـهاـ فـإـنـكـ سـوـفـ تـسـقطـ مـيـتاـ» ..

كـنـتـ قدـ سـمعـتـ هـذـهـ القـصـةـ بـشـئـ منـ الغـمـوضـ .. وـلـكـنـهاـ تـنـتـشـرـ هـنـاكـ .. وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـ الـكـثـيرـينـ يـضـحـكـونـ عـلـيـهـاـ فـإـنـ الـوـقـائـعـ، كـمـاـ هـىـ، يـبـدـوـ أـنـهـ تـشـيرـ إـلـىـ حـقـيـقـةـ ..

فـهـذـاـ القـارـبـ الـأـبـيـضـ الـكـبـيرـ الـمـصـنـوعـ .. مـنـ خـشـبـ السـاجـ وـالـسـنـدـيـانـ وـالـمـبـنـىـ بـنـفـسـ طـرـازـ الـمـرـاكـبـ الـمـصـرـيـةـ الـقـدـيمـةـ بـرـسمـ عـيـنـيـ أوـزـيرـيسـ عـلـىـ جـانـبـيهـ .. بـاستـخـدـامـ شـرـاعـ أـبـيـضـ .. وـعـلـىـ مـتنـ هـذـاـ القـارـبـ الشـبـعـ يـوـجـدـ سـتـيـفـنـسـوـنـ الـدـمـوـىـ الرـجـلـ الـعـلـاقـ

الذى يتصارع مع فتاة يملؤها الرعب ، ترتدى رداء أبيض والدم ينزف من عنقها .

وفجأة تسحب الفتاة وهى تصرخ من الرعب يدها اليمنى وتهوى بها فوق العملاق الذى ينزف الدم من عنقه ويسقط فوق ظهر القارب .. وبعد لحظة تسقط الفتاة ميتة فوق جثمان هذا العملاق .. ويواصل القارب السير فوق صفة المياه ..

والآن وقد بدأ كل هذا فى خريف عام ١٨٥١ عندما قررت شركة بيكلز أن ترسل أكبر قواربها ويدعى «مايفلاى» فى رحلة .. ستصبح أكثر الرحلات زعبا فى تاريخ إنجلترا .. وكان هذا القارب - كما سبق القول - على طراز القوارب التجارية الشراعية فى مصر القديمة .. تبلغ سرعته من ٧ إلى ٨ كيلو مترات فى الساعة ، وهى نفس سرعة السيارة الأجرة وهى تسير فى حديقة الهايد بارك ..

ونعود إلى قصتنا .. إلى خريف عام ١٨٥١ كان القارب أو السفينة الشراعية التى سقطت عليها «مايفلاى» رابضة على الشاطئ عندما أرسل أصحابها لاستدعاء القبطان .. العملاق عريض المتكبين الملقب باسم ستيفنسون الدموى .. كان ستيفنسون هذا رجلا قويا ، ملاكما لا يشق له غبار .. ولكنه كان صاحب مزاج عصبى ونظرة قاتلة فى عينيه عندما يشيره أحد .

وقيل إنه عندما كان فى الأسطول التجارى حيث خدم لمدة ١٥ سنة قاتل خمسة رجال على ظهر إحدى السفن فى نفس الوقت فقتل منهم اثنين وأصاب الثلاثة الآخرين .. ولذلك فقد تعرض للسجن لمدة ثلاثة سنوات .. وعندما خرج من السجن خدم فى إحدى الشركات الخاصة وتورط فى معركة أخرى على ساحل فلوريدا .. وعندما بدأ البوليس يلاحقه قفز من سفينة أخرى وتوجه من فوره إلى إنجلترا ..

وفي ذلك الوقت كانت له سمعته السيئة في الخدمة على القوارب التجارية حتى إنه قرر البحث عن عمل على ظهر إحدى القوارب التجارية في نهر نورفولك وسيفولك .. وهكذا أصبح مستخدماً لدى شركة بيكلز ..

وكان لمستر دورمى أحد مدیري الشركة ابنة جميلة في بداية العشرينات من عمرها .. كانت هي أجمل فتيات البلدة، وكانت تخظى باعجاب كل من رآها .. وكان «الدموى» أحد هؤلاء المعجبين .. وكذلك كان جاك زميله على السفينة «مايفلاى» .. وبينما كان ستيفنسون الدموى ينظر إلى الفتاة الريئة الجميلة بشهوة حيوانية كان جاك وهو أيضاً رجل قوى البنية يعبدها في خجل .. وهكذا كان الفتاة .. وتدعى ميليسنت .. عاشقان متناقضان تماماً ..

الشخص الثالث الذى كان يعمل على ظهر السفينة «مايفلاى» هو شاب قوى في السابعة عشرة من عمره يدعى بيرت انتويستل الذى كان يكلف بكل المهام الوضيعة فوق ظهر السفينة مثل التنظيف والترتيب .. وما إلى ذلك .. ولم يكن يشكوا مطلقاً ..

وعندما ذهب الدموى إلى الساحل في شهر سبتمبر وتوجه إلى مكتب مالكى السفينة تحدث مستر دورمى في الموضوع مباشرةً : «كابتن ستيفنسون لقد قررنا أن نعهد إليك بمهمة شديدة الأهمية .. إن المطلوب إرسال حقيبة جلدية ضخمة تحوى عملاً ذهبياً من هنا إلى البنك الذى نتعامل معه في يارماوث .. إن لدينا أسباباً مقنعة بأن مثل هذه الحقيقة إذا تم إرسالها بعربة تجرها الخيول عبر الطرق المظلمة فسوف يتم اعتراضها وسرقتها .. ولذلك فإننا سوف نرسل عربة تجرها الخيول وبها صندوق كبير لن يحوى ذهباً .. ولكن رجالين مسلحين .. وبهذا فإن من سيوقف

هذه العربة سوف يحصل على الرد طلقات رصاص بدلاً من صندوق الذهب .

لذلك فقد قررنا أنه سيكون أكثر أمناً أن نرسل هذه الشحنة ذات القيمة بحراً .. إنك رجل قوى .. وكذلك جاك .. وسوف نمدكم بشخص ثالث كحارس إضافي .. وسوف تكون السفينة مزودة ببنادق وذخائر .. ونحن لا نشعر أن أحداً يمكنه أن يفكر في اعتراض السفينة .. كذلك فإن ابنتي ميليسنت سوف تتسافر راكبة على ظهر السفينة تحمل صندوقاً كبيراً يحتوى على الذهب .. ونريدك أن تقوم بهذه المهمة شديدة الحساسية» فرد الدموي : سأكون خادمكم المطيع .. ولكن هل لي أن أسأل عن قيمة الشحنة؟ .. قال مستر دورمى ببرود .. ٤٠٠ ألف جنيه استرلينى .. ابتلع الدموي ريشه .. ولمعت عيناه وقال بصوت خفيض : «يالها من شحنة ذات قيمة كبيرة سيحملها البحر ياسادة» .. ثم استطرد قائلاً : «على الرغم من أننى قبطان للسفن التجارية تم تكليفى بشحنات أكثر قيمة!» .. وكان الرد : «هذا ما توقعناه تماماً كابتن ستيفنسون وهذا هو سبب قرارنا بالوثوق فيك وتوكيلك بنقل الشحنة .. ستبداً في العاشرة والنصف مساء .. وبعد نصف ساعة من مغادرة السفينة ليارماوث ، ستقوم بإinzال ميليسنت هناك حيث ستكون عمتها في انتظارها ، وسوف يتم نقل الصندوق إلى العربة التي ستكون في الانتظار والتي ستتجه فوراً إلى البنك .. هل كل شيء واضح؟ قال الدموي : «كل شيء واضح» .. ثم حيا مستر دورمى وانصرف ..

صعدت ميليسنت الشابة الجميلة ذات القوام المشوق .. الممثلة إثارة وفتنة .. وقد راقت لها فكرة الرحلة على ظهر «مايفلاي» .. وقد أعدت قمرة خاصة لها على السفينة .. وبعيداً عن إثارة

الرحلة ذاتها فقد كانت ميليسنت تشعر بنوع آخر من الإثارة لأنها ستصحب الدموي الذي كان من وجهة نظرها يمثل نوعاً من البطل الإغريقي ، شيئاً ما مثل أخيل .. أو هرقل ..

وأبحرت السفينة تحت أشعة القمر .. ١٥ ميلاً فقط وستنزل ميليسنت لتناول طعام الإفطار مع عمتها في منزلها بيارماوث .. واتجهت السفينة شماليًا إلى برج سانت بيتر وسومرليتون .. وتحت أطلاع قلعة برج الدومانية .. كانت ستيفنسون على عجلة القيادة، وبعد قليل استدار فجأة ناحية مساعد عجلة القيادة وسأله : هل أنت معى أم لا ؟ هل ستعمل لحسابي أم لا ؟ قال بيرت : « بالطبع أنا معك .. فماذا تعنى بالعمل لحسابك ؟ » .. أعنى ما فهمت .. هذه السفينة وكل شيء فوقها هو الآن ملكي .. إننى أمتلك كل شيء .. ستدهب هذه السفينة إلى حيث أريدها أن تذهب .. هل فهمت الآن ؟ قال الشاب .. « ولكنك لا يمكنك أن تقول إن هذه سفينتك .. إنها تخص الشركة ولا يمكنك الاستيلاء عليها .. إن هذه قرصنة وأنا لست قرصاناً » .. قال الدموي العملاق وصبره يكاد ينفد : « إذن ستكون طعاماً للسمك » .. وترك عجلة القيادة، واتجه إلى الشاب وأمسكه من رقبته وضربه فوق رأسه .. ثم حمله في الهواء وألقاه في الماء .. واقتربت السفينة مايفلاي من أضواء يارماوث .. ولكن السفينة بدأت تغير اتجاهها ..

استيقظت ميليسنت في قمرتها وصعدت لتعرف ما حدث .. وتسالت : أين نحن يا كابتن ؟ ألم نصل إلى يارماوث ؟ إننى لا أرى شيئاً ! ..

ورد الدموي العملاق .. وضحكة شريرة تملأ وجهه .. « ولن ترى شيئاً يا حبيبي لقد تركنا يارماوث .. ونحن الآن في البحر » .. سأله : « ولكن لماذا ؟ لقد كان المفروض أن نتوقف في

يارماوث حيث ستكون عمتى في انتظارى » .. وجاء الرد القاسى :
« إنك لن ترى يارماوث أو عمتك مرة أخرى .. يا جميلة .. إننا في
الطريق إلى حيث قررت أنا أن نذهب .. إننى قبطان هذه السفينة ..
تذهب إلى حيث أريدها أنا أن تذهب ، وكل ما فوقها بما فى ذلك
النقود وأنت يا فتاتى هو ملكى .. ستكونين زوجتى عندما نصل
إلى مناطق أجنبية .. إننا نملك من المال ما يكفى لمعيش كملوك
إلى الأبد » .. « ولكنها نقود أبي .. وسفينة أبي » قالتها ميليسنت
وقد شجب لونها رعبا .. فرد الدموى « إنك أيضا لن ترى أبيك
مرة أخرى .. اهبطى إلى قمرتك .. لكم كنت أشتهرتك منذ وقت
طويل .. وها أنت الآن بين يدي .. جاك .. تول القيادة » ..

وبالفعل أخذ جاك عجلة القيادة .. وقد تجمد وجهه كالصخر ..
وقفت ميليسنت فى تحدٍ على ظهر السفينة .. فامسكها الدموى بيد
واحدة وألقاها فى القمرة وتبعها .. وبعد دقائق صدرت صرخة
مرعبة من أسفل .. واندفعت ميليسنت إلى ظهر السفينة تنزف من
جرح فى عنقها بينما ملابسها قد مزقت .. وخرج خلفها الدموى
ستيفنسون الذى غطت وجهه الدماء ..

وهنا لم يتمالك جاك نفسه .. فانفجر فى الدموى .. وتقاول
العلاقان فكانا مثل اثنين من النمور .. أخذَا يتمايلان للأمام وإلى
الخلف على ظهر السفينة .. وبينما يسقط أحدهما يعاجل الآخر
بضربة .. وبعد قليل جذب الدموى يده اليمنى شديدة القوة وهو
بها فوق عنق جاك .. فسقط جاك بلا حراك وهذا حمله ستيفنسون
وألقى به إلى الماء ..

وأسرعت الفتاة إلى أسفل فهرع الدموى خلفها .. عندئذ جاء
الشاب الصغير برت إلى ظهر السفينة ليرى الفتاة تصعد بسرعة
وراءها الدموى يحاول جذبها .. وهى تحاول الفرار .. وكانت

الدماء تنزف بغزاره من عنق الدموي ومن صدره .. ثم سقط على ظهر السفينة .. بعدها بلحظة هوت الفتاة وخنجر في صدرها فوق العملاق الميت ..

وهكذا أصبح الشاب الصغير وحيداً مع جثة لرجل .. وجثة الفتاة .. وكومة من زجاجات الخمر وأرغفة الخبز .. وبنడقية وذخيرة في بحر الشمال .. وبعد أيام أنقذت سفينة دانماركية الشاب الصغير .. الذي أقسم أنه وخلال الليالي المظلمة التي قضاها وحيداً على ظهر السفينة تكرر أمامه منظر الفتاة الصغيرة وهي تنassel والدماء تنزف من صدرها ، والعملاق المصايب بطعنة في عنقه ..

بعدها بثلاث سنوات .. قال فريد «المراكبي» وفي إحدى الأمسيات كان مسiter دورمى يصطاد كما نحن الآن تماماً .. وفجأة عبرت السفينة البيضاء .. وفوقها شاهد مستر دورمى شبح ابنته والدماء تنزف منها بينما يجري الدموي خلفها وهي تصرخ «أبى .. أنقذنى .. أنقذنى» .. ثم اختفت السفينة وسقط مستر دورمى ميتاً !!

كانت عجوزا طيبة في
حياتها ..
وعادت روحها فأضاعت
مستقبل ابنتها .. وقتلت طفلته .
صاحت الطفلة : أنقذوني
جدتي تخنقني !! وكانت
النهاية :

روح مسز ليكى الضائعة

روزهادى تيمبرلا

«بابا .. ماما .. ساعدونى .. جدتي تخنقنى !» .. ترددت صرخات الطفلة فى المنزل ، وانتهت بضوضاء الخنق .. واندفع الوالدان إلى حجرتها .. ليجداها ميّة فى سريرها وعلامات إصبعين على عنقها .. إنها مخنوقه .. كان هذا هو أكثر ظهور مرعب لشبح مسز ليكى ..

ففى حياتها ، كانت سيدة عجوزا طيبة تعيش فى القرن الثانى عشر مع ابنها وزوجته وحفيدتها .. كانت لطيفة .. عطوفة محبوبة .. كان الجيران يعجبون بسلوكها الأقرب لسلوك القديسات .. وكانوا يحسدون ابنها على أن هذه السيدة هي أمه .. وقال لها أحد المعجبين بها ذات مرة : «إنك سيدة رائعة .. وستكون المأساة الوحيدة بعد أن تتركينا وحدنا عندما تموتين» .. ذلك أن العمر كان يتقدم بمسز ليكى .. وعلى غير المتوقع ردت عليه قائلة : ربما تحبوننى الآن .. ولكنني أخشى إلا تستمتعوا برؤيتى والحديث إلى بعد موتى .. «كيف إذن يمكننا أن نراك ونتكلم إليك حينئذ» .. «انتظروا وسترون» .. هكذا قالت مسز ليكى .. وانتظروا .. وهم الآن يرون ..

ماتت مسز ليكى .. وأقيم قداس كبير على روحها .. وكان المشيرون كثراً بدوا جميرا وهم يقولون : كم كانت الراحلة عزيزة علينا .. وكم ستفتقدها .. وصرخوا في بكتئهم وهم يقولون «كم سيكون أمراً سيئاً أننا لن نراها مرة أخرى ..

ولكن كثريين منهم كانوا على موعد مع رؤيتها مرة أخرى سريعاً جداً في أوقات وأماكن مختلفة .. وتحولت إلى شيطانة عجوز حقيقية .. كما لو كانت تعوض كل ما أظهرته في حياتها من طيبة وعطف .. وكما لو كانت تنتظر الموت لكي تظهر وجهها الشرير ..

كان طبيب البلدة هو أول شخص يرى شبحها .. على الرغم من أنه لم يكن يعرف من تكون في ذلك الوقت .. كان يوماً مشمساً، وبينما هو يسير في الحقول قابل سيدة عجوزاً .. حياها بأدب وساعدها في العبور .. ولكنه أدرك أن شيئاً غريباً بشأنها فعندما تتكلم لا تتحرك شفتاها .. وتبرق عيناهما بتركيز حتى عندما تدير رأسها .. وجعله هذا يشعر بضيق وقلق حتى إنه كان سعيداً وهو يودعها ويسرع بعبور الحقل التالي .. وعندما عبر الحقل .. وبالشدة دهشت .. فوجيء بها تنتظره هناك قرب السياج الموجود في الحقل ..

ليس هناك كائن بشري يمكنه أن يعبر هذا الحقل قبلة دون أن يتحرك بسرعة كبيرة جداً .. وكاد الطبيب يستدير للخلف ولكنه قال لنفسه لاً يكون أحمق وأن يتوجه إلى السياج .. وعندما اقترب لم تتحرك ، جلست بجوار السياج ومنعه من العبور .. قال لها «مدام» لو سمحت أريد المرور من هنا ..

قالت له : ولو افترضنا أنني لا أريدك أن تفعل ! رد قائلاً : إن هذا عبث .. من فضلك ! .. ضحكت المرأة بصوت عال .. وتمسكت

بمكانتها ، فقال لها : دعيني أساعدك على المرور إلى الجانب الآخر ، فقلت . إنني في الجانب الآخر بالفعل .. وبضيق شديد من الجدل عبر الطبيب ودفعها ليمر في الطريق .. فسددت له ضربة قوية وأخذت تلاحقه بصرخاتها . « هذه الضربة ستعلمك كيف تبدى سلوكاً أفضل مع العجوز التالية التي ستلتقي بها .. » ..

بعد هذا الحادث بفترة قام الطبيب بوصف السيدة التي قابلها لأصدقائه الذين قالوا إن هذه الأوصاف تنطبق تماماً على ممز ليكي .. التي كانت قد بدأت تعاود الظهور .. وكان ما وصفه الطبيب ينطبق تماماً على سلوكها الغريب الجديد .. فبدأت تظهر في أي مكان تثير القلق والاضطراب ..

وكان من حيلها المفضلة الظهور على شاطئ البلدة ثم تستدعي قارباً .. « ها .. أنت يا صاحب القارب .. أنت أيها الشيطان الكسول تعال هنا إنني أريد قارباً » .. وعندما يقترب صاحب قارب منها تلاحقه بلعناتها وسخريتها .. وعندما تكرر الأمر أكثر من مرة بدأ أصحاب القوارب يتجاهلونها .. بينما تقف هي تصرخ وتتمنى لهم الموت ..

وعندما كانت في حياتها كانت شديدة العطف على ابنها .. قدمت الكثير من التضحيات من أجله .. كانت تنتظره وتقديم له الهدايا .. وتبدو وكأنها تعبد الأرض التي يسير عليها .. ولكن روحها العائدية بدأت تخطط للقضاء عليه .. كان تاجرا ثريا يقوم بمعظم أعماله مع أيرلندا .. وكانت له عدة سفن تبحر بين أيرلندا وإنجلترا تحمل البضائع من مكان إلى آخر .. وبدأ شبح ممز ليكي يمثل الخطة السيئة لإغراق سفنه ..

في بينما تقترب إحدى سفن ممز ليكي من الشاطئ .. يظهر شبح ممز ليكي واقفا على الشاطئ .. حيث تطلق صفاره .. وأيا

ما كان البحر هادئاً .. فإن صوت هذه الصفاراة يستدعي الرياح العتيقة التي تهب ضد السفينة وتجعل البضائع تتناثر، وتتحطم السفينة .. وأحياناً كان البحارة يسبحون حتى الشاطئ بينما يضيع كل شيء آخر .. سفينة تلو سفينة دمرت بهذه الطريقة .. وهكذا ضاع كل ثراء ابنها .. الذي أصابه اليأس .. فقد ضاعت كل سفنه ولم يعد قادراً على شراء سفن جديدة .. وحتى إذا استأجر سفينة لم يكن يستطيع الحصول على بحارة للعمل عليها بعد أن غرفت قصص كل سفنه السابقة .. فقد جرب الكثيرون منهم ما حدث - وسمعوا صوت الصفاراة التي تجلب العواصف السحرية العنيفة ..

وعندما لا تكون مشغولة بإغراق سفنه .. كانت مسز ليكي تسكن منزل ابنها حتى لا يشعر بالسلام في أي مكان .. ولم تكن تجعل ابنها يراها مطلقاً .. كانت تظهر للآخرين في المنزل لتسبيب لهم حالة من الهisteria ، وبذلك تشير ضيق ليكي .. ولكن لأنه لا يراها لا يستطيع عمل أي شيء لها .. فمشاهدة شبح شرير هو أمر سيء بما فيه الكفاية ، ولن ألا ترى هذا الشبح الذي يراه كل الذين يحبونك طول الوقت هذا هو الأسوأ .. كان ابن ليكي يشعر بوجود شبح أمه من خلال علامات الخوف على وجه زوجته وابنته .. ولكنه يكون ساكناً بلا حراك لا يستطيع عمل شيء ..

وعلى سبيل المثال ، كان شبح مسز ليكي يحضر إلى حجرة نوم الابن عندما يكون هو وزوجته نائمين معاً .. هناك الابن المسكين يحاول الحصول على بعض النوم عندما توقفه زوجته فجأة صارخة : « انظر أمك هنا معنا في الحجرة » ..

ويستدير الابن جهة اليمين حيث تشير زوجته .. فلما يجد شيئاً .. فتقول

شيئاً .. فتقول له زوجته : إنها في الجهة الأخرى الآن .. فينظر يساراً .. فلا يوجد شيئاً .. إن شبح الأم الشرير يقفز عن مكانه آخر حتى لا يراها .. بالطبع هناك عنصر كوميدي في تكرار هذه الأمور داخل حجرة النوم إلا لهؤلاء المتورطين .. كادت زوجة ليكى تجن بهذا العذاب المستمر .. وكاد ليكى نفسه يصاب بالإحباط .. كان يشعر بالعجز .. إنه لم يسبق له بالمرة أن عانى من أى مشاكل مع أمه المحبوبة .. ولكن شبحها وراءه تماماً ..

وبداً الجيران يضحكون أحياناً عندما يسمعون ما يجري داخل المنزل .. وكان هذا أمراً مثيراً للضيق وغضباً ليكى وزوجته خاصة وقد أصبحت تجارتهم مفلسة .. وتزايد الفقر عليهم يوماً بعد يوم ..

بعدها كانت ذروة الصدمة بموت طفلتهم .. لقد تعلموا كيف يتحملون متاعب الشبح عليهما ولكنهما لم يتخيلاً أن تؤدى الطفلة .. لذلك فإن مشهد الطفلة المخنوقه وعلامة الإصبعين فوق عنقها وصرختها الأخيرة : « جدتى تخنقنى » .. كان القشة الأخيرة بعدها ذهب كل شيء ..

كانت جنازة الطفلة أمراً مأساوياً .. كان هناك البعض الذين يحسدون ليكى على ثروته السابقة ويستمتعون بمتابعة خسائره المستمرة .. والآخرون الذين كانوا يضحكون على ما يحدث في حجرة نومه .. ولكن الجميع كانت مشاعرهم رعباً وخوفاً بوفاة الطفلة .. لقد ذهب شبح مسز ليكى إلى نقطة بعيدة .. لقد أصبحت مكرورة الآن أكثر مما كان هؤلاء يحبونها في حياتها .

وربما كان لقوة عاطفة الناس بعض التأثير على مسز ليكى .. وربما لم تكن تدرى بما تفعله في حياتها الأخرى .. ولكن الرعب الذي تسبب فيه مقتل الطفلة قد بلغها أخيراً حتى جاءت بنفسها لتعتذر ..

كان هذا بعد جنازة الطفلة .. لقد دخلت الأم حجرة نومها وأخذت تسوى شعرها أمام المرأة ، وفجأة شاهدت وجه ممز ليني العجوز في المرأة وهي تربت على كتفيها .. استدارت الأم في يأس وبؤس وقالت : « أمي .. لماذا تعذبينا بالله عليك؟! » .. رد الشبح بصوت خفيض « في سلام .. لن أؤذيكم » .. قالت الأم : ماذا تريدين منا؟ ..

ويبدو أن شبح ممز ليني لم يكن يعرف ما يريد .. لقد أطاحت بمستقبل ابنتها وزوجة ابنتها .. وكسرت قلبيهما .. لماذا؟ .. لم تكن تدرى .. كانت روحًا ضائعة ..

وبالرغم من أن ظهور الشبح لم يعد يثير الضرار .. إلا أن الوقت كان قد مر بعد ما حدث .. لقد عاش ليني وزوجته بقية حياتهما في فقر وبلا أطفال .. ولكن حتى بعد موتهما لم ينس أحد شبح ممز ليني .

انتقام أمٌ لم تلد بعد !
بعد حديث طويل للرجل مع
الفتاة ..

قالت له : لقد قتلنى أحدهم منذ
ساعات .. وأخذته من يده
بيدها إلى قبرها !!



انتقام أم لم تلد بعد !

دو جلاس كوليير

كانت ليلة ممطرة شديدة البرودة مثيرة للرعب .. وكانت السحب الداكنة المحملة بالمزيد من الأمطار تملأ السماء .. بينما كان جيمس جريمي طحان بلدة دورهام عائداً إلى منزله من نفس الطريق الذي يقطعه مرتين يومياً .. في الذهاب والعودة . وفي نهاية كل أسبوع كان يتساءل لماذا يسكن بعيداً عن مطحنه بمسافة ميل .. ثم يعود ويقول لنفسه : إنه لا داعي لترديد هذا السؤال فزوجته هي السبب فهى التي اعترضت على المعيشة فى منزل فوق المطحنة أو فى بيت صغير ملحق بها .. كما يفعل باقى الطحانين الذين يحسنون التفكير والذين ليست لهم تطلعات اجتماعية ..

ففى ليلة مثل هذه الليلة المطيرة سيصل جريمي إلى بيته وقد جمدت عظامه .. واخترق البرد الشديد كل جزء من جسمه ، وقال الرجل لنفسه : « إنه لسوف يسعد زوجتى أن أموت بسبب رفضها السكنى فوق معمل الطحين » .. وتذكر بيته وفراشه الدافئ .. إنه سيكون هناك خلال نصف ساعة لو كان محظوظاً .. وملأه شعور بالشفقة على نفسه وهو يرى ملابسه قد امتلأت بالمياه .. وبدأ يتخيل نفسه على فراش الموت .. وزوجته تبكي وتولول وهى

تقول : «إنها غلطتي .. لو لم أكن أنا نية وأطلب منزلا بعيدا عن المطحنا !.. جيمس سامحني ! واغفر لى !..» وأخذ يتخيل صورة وجه زوجته الباكية .. بينما كشف ضوء البرق عن وجه آخر لامرأة .. لكنها ليست زوجته .. وبدا يدقق في الوجه المائل أمامه في الظلام .. ثم قال : آنى .. طللتى .. إنك آنى جريينوود .. أليس كذلك ؟ ..

وشعر بيد الفتاة فوق خده .. إن يدها . وبالصدمة . مبتلة بالدماء وليس بماء المطر كيده .. إن رداء الفتاة ممزق وملئ بالدماء .. وشعرها مبتل بالمطر .. والدم والطين .. : «نعم ياجيمس جريمى .. إنه أنا .. أنا آنى جريينوود» .. «ولكن ماذا حدث لك بحق الله ؟ .. «هذا هو ما سعيت إليك لأقول ياجيمس جريمى» .. «ولكن لماذا لا تسرعين الخطوة .. وتتحملين كل هذه الجروح وتبحثين عنى فقط .. إن هناك العديد من الأكواخ كان يمكنك الذهاب إليها طلبا للعلاج» .. «إننى أحتاج إليك ياجيمس جريمى» ..

وأقفلت هذه الكلمات على نفس الطحان فأثرت في كل مشاعره .. وقال لها : «لا تتنطقى كلمة أخرى .. حتى آخذك إلى البيت حيث سأقوم وزوجتى الطيبة بتضميده جراحك .. وعندها يمكنك أن تقولى لنا عما حدث لك .. وليس قبل الآن» ..

«لا .. لا ياجيمس جريمى» .. وظللت الفتاة مكانها وكأنها مزروعة في الأرض .. وحاول جريمى أن يجذبها من ذراعها خلال المطر .. ولكنها لم تتحرك إن قوة غير عادية تمسك بها في هذا المكان .. فقال جريمى ، «بحق الله هيا بسرعة يا فتاتى إنك ستموتى لو لم تسرعى بالذهاب معى .. إننى لم أر أحدا يستحق المساعدة أكثر منك في هذه اللحظة» .. ردت قائلة : «انظر ..

ياجيمس جريمى .. انظر فقط وسوف ترى سبب عدم قدرتى على
المجىء ..» وبدا الأمر وكأن أمرا قد صدر للبرق فى هذه اللحظة
لكى يضئ الغابة كلها لمدة ٥ ثوان أو أكثر ..

ويالهول مارأى ! .. فبينما نظر إليها وجدتها تستند رأسها على
جدار .. وكأنها تنظر إلى السماء .. وقد قطع عنقها تماما حتى
إنها لو لم تستند به على شيء لسقط رأسها على الأرض ، وصرخ
جريمى صرخة ردت السماء صداتها وكأن الذئاب تجرى خلفه ..

وعاد الظلام مرة أخرى .. وكان صوتها هادئا «أترى الآن
لماذا لا أستطيع أن أحضر معك .. ولماذا لا يمكنك أنت أو زوجتك
الطيبة أن توقفا موتي » ..

تلعثم الرجل ولم يقل شيئا .. حاول أن يصرخ مرة أخرى ولكنه
لم يستطع . وقالت : «إننى لا أستطيع الحضور .. ولن أحضر
إليكم .. ليس هناك إنسان يمكنه أن يمنع موتى لأننى ميتة
بالفعل .. ميتة يا جيمس جريمى .. وكما ترى لقد قتلت » ..

«مقتولة؟ .. ولكن كيف تقفين هنا الآن .. إذا كنت ميتة؟ ..
وأدار جريمى رأسه وهو يقول : ربما كان ما نحن فيه حلمًا
مزعجاً سأستيقظ منه غداً وأجرى إلى بيتك لأجدك بخير .. وجميلة
كما كنت دائمًا .. سأفعل ذلك يا عزيزتي آنى .. سأفعل » ..

قالت : «لن تفعل .. والآن استمع إلى فوقى قصیر .. إننى لست
هنا .. لست بكىاني المادى .. لأننى مت منذ عدة ساعات وجئتى
موجودة فى المكان الذى سأطلعك عليه الآن .. وعليك أن تستمع
بكل هدوء واهتمام» ..

ضاع الشعور بالبرد والمطر الآن .. وببدأ جيمس جريمى
يستمع فى رعب : «إن هؤلاء الذين قتلوني يجب أن يقدموا

للمحكمة وهم جون شارب وجيمس واكر .. وقبل أن يمر الوقت وأختفى مثل نجم عندما تشرق الشمس .. سأقول لك لماذا؟ وكيف؟ وأين؟ وعليك أنا تتذكر كل شيء ..

وهز جريمى رأسه علامه الإيجاب .. وبدأت هى تقصى الحكاية .

«كنت حاملاً فى طفل من جيمس واكر الذى اغتصبى منذ ثلاثة شهور وبالتحديد يوم ٢ ديسمبر عام ١٦٨٠ .. حتى إننى كنت أوافق على كل ما يقوله لى .. لن أقول لك كيف أو لماذا نجح فيما فعله .. ولكنه وضع البذرة .. وأصبحت أنا الملامة .. ولكن عندما قلت له إننى حامل فى طفله .. انكر كل شيء بىتنا ، واتهمنى بأننى فتاة كاذبة شريرة .. وحضرنى من التفوه بكلمة واحدة لأى إنسان .. وقال إننى لو أقسمت على الكتاب المقدس فإنه سوف ينكر كل شيء ويقتلنى .. إنه سوف يقتلنى على أية حال .. كما قال .. قبل أن أتفوه بكلمة .. وبالطبع لم يكن ممكناً أن أعد بألا أخبر أحداً .. ذلك أن الطفل .. طفلى أيضاً .. يحتاج إلى أب .. ولأنه كان جباناً .. وربما لأنه لا يزال يحمل بعض المشاعر تجاهى دفع لشخص آخر لكي يقتلنى هو جون شارب ..

قال جريمى : «جون شارب هذا المخادع الفاسق ..» .. واستطردت هى تقول : «لقد قتلنى اليوم بعد الظهر بقليل .. وقبل أن تهب هذه العاصفة .. كان الجو بارداً .. وخرجت إلى الغابة أجمع بعض الحطب عندما ظهر لى من وراء الأشجار وشهر سكيناً كبيرة في وجهي وخذبني بيده اليسرى من كتفى وطلب منى إلا أتفوه بكلمة .. ثم قطع عنقى بالسكين .. وعندما انطلقت الدماء بدأ يصبغ يديه وإناء فى يده بلون أحمر مثل لون الدم .. كان جيمس جريمى يستمع فى خوف .. واستطردت هى : «والآن جيمس

جريمي .. اسمع بحرصن .. حملنى إلى مكان سأريك إياه .. وهذا
قام بدفعنى حيث أرقد الآن .. هيا تعال» .. وأخيراً تمكنت من
الحركة .. وأخذت جريمي من يده التى كانت ترتعش فى يدها
المبللة بالدم .. وعندما وصلنا إلى المكان المقصد وبجوار شجرة
للسنديان ضخمة قالت له : «والآن عد الخطوات» .. كانت تتحدث
بصوت أقرب إلى صوت الشبح .. وصوت واهن جدا لأنى
جريينوود .. «٦ .. ٧ .. ٨ .. ٩ .. ١٠ .. ١١ .. هنا القبر» ..

فى البداية لم ير جريمي شيئاً .. ثم أبرقت السماء قليلاً فرأى
قبراً نظيفاً مرتبـاً .. ثم أمرته بعد الخطوات مرة أخرى .. ثم
اختفت .. وصرخ جريمي : «أين أنت يا آن؟» .. ووصله صوت
واهن حزين من الظلام : «لقد ذهبت .. ربما للأبد .. إلى الحياة
الأخرى الأبدية .. ولكن ياجيمس جريمي إذا لم يشنق قاتلـاـي على
جريمتـها .. سأظل شـبـحاـ إلى الأـبـد ..» ..

وساد الصمت لبرهة .. ثم استمر الصوت يقول : «ولكن
ياجيمس إذا لم يعاقب الذين قتلـونـى .. فإنـتـى سـأـكونـ شـبـحاـ يـسـكـنـكـ
حتـى تـمـوتـ .. سـأـظلـ الـاحـقـ بـنـفـسـ شـكـلـ الذـى رـأـيـتـهـ الـيـوـمـ .. حتـى
نـهاـيـةـ الـعـمـرـ .. ولكنـ إـذـا شـنـقـ قـاتـلـاـيـ فـلـاـنـ الـرـبـ سـوـفـ يـبـارـكـ
يـاجـيمـسـ جـريـمـىـ ..

ثم اختفى الصوت .. وأخذ جيمس يعدو في مسافة النصف ميل
الباقيـةـ على منـزـلـهـ .. حيث قـابـلـتـ زـوـجـتـهـ الغـبـيـةـ على الـبـابـ .. قـائـلـةـ :
«بـحـقـ السـمـاءـ يـارـجـلـ هـلـ كـنـتـ فـيـ نـزـهـةـ فـيـ الطـيـنـ .. أـلـمـ يـكـنـ مـمـكـناـ
أـنـ تـلـجـأـ إـلـىـ أـىـ مـكـانـ حـتـىـ تـهـدـاـ العـاصـفـةـ» ..

لم يعلق جيمس على ما قالت زوجته، وقال لها : اذهبـيـ إلىـ
مدـفـأـتكـ .. إنـتـىـ لاـ أـحـتـاجـ شـيـئـاـ منـكـ عـلـىـ الإـطـلاقـ، وـفـىـ لـحـظـاتـ

سأكون قد غيرت ملابسي المبتلة وذهبت إلى فراشى .. طاب
مساؤك .. إن لدى عملاً كثيراً صباح الغد» ..

وتوجه إلى المطبخ حيث صب بعض الماء الساخن على شيء
من النبيذ شربه جرعة واحدة .. وغير ملابسه وذهب إلى الفراش ..
ولكنه لم ينم .. بالطبع .. وبعدها بساعة عندما تحركت زوجته
البدينة إلى جواره تصنع النوم ..

وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي استيقظ جريمي وخرج
من منزله على الفور دون تناول طعام الإفطار فعمدة البلدة لا
يسكن بعيداً عنه ، وعلى الباب دق جريمي بيده بقوة حتى أيقظ
العمدة الذي خرج إليه بملابس النوم وهو غاضب .. قال جريمي ..
جئت لأبلغ عن قتل آنني جرينوود .. رد العدة : قتل من؟ من قتلها؟
أم أنك تعرف بالجريمة ..؟

قال جريمي : إنني أتهم جون شارب وجيمس واكر بالتعاون
معاً لقتلها أمس .. وإذا ذهبنا إلى منزل والديها سنتأكد يقيناً من
أنها لم تعد إلى المنزل طوال أمس ..

فدعاه العدة للدخول .. ثم صعد هو لتبديل ملابسه .. ثم نزل
وطلب منه الانتظار حتى يذهب هو بنفسه إلى منزل جرينوود ..
وبعد نصف ساعة عاد العدة وهو يقول : «إن السيدة جرينوود
قلقة للغاية .. وتحدثت عن تصرفات ابنتها خلال الأسابيع الماضية
وقالت إنها لم تعد الليلة الماضية .. وهي أول مرة تتغيب فيها عن
منزلها طوال عمرها ..» ..

فقال جريمي : «وإذا أخذتك إلى قبرها أيها العدة .. هل
ستصدق عندما ترى عنقها المقطوع أنها قتلت» ..

رد العددة : إذا رأيت كل هذا ستكون هناك مسرحية حمقاء ،
فهذه أخطر تهمة يمكن توجيهها لاثنين من المواطنين .. وربما
كان من الأفضل أن تعلن اتهامك . إذا كنت لا تزال مُصرًا . في
حضور هذين الشخصين وسوف استدعهما ..

«الآن تأتي معي لتفقد المقبرة؟» .. «ليس بعد .. إذا كان هناك
اتهام خطير مثل هذا فإن هذين الشخصين -الذين تتهمهما يجب
منهما فرصة الرد .. قال جريمي : «ولكن .. الجثة ..»

قال العددة : الجثة يمكن أن تنتظر .. فحتى لو عثرت على
الجثة .. وتأكدنا أنها تخص آنی جرينوود فمن يقول إن هذين
الشخصين متورطان في قتلها؟ .. إن حقهما هو أهم ما في
الموضوع بعد هذا الاتهام .. وإذا كانت آنی جرينوود قد ماتت
فإنه لا توجد قوة على ظهر الأرض يمكن أن تعيدها ، ولكن هذين
الشخصين سيقدان على الأقل جزءاً من سمعتها .. وربما
حياتها .. إذا كانت لأى منها علاقة بالجريمة .. وإذا لم تكن
لهمَا علاقة .. فإن الطين سوف يظل ملتصقا بهما للأبد .. وعليه
تصبح الخطوة الأولى هي إعلان الاتهام رسميًا في وجودي ..
سأل جريمي : بدون جثة .. وبدون دليل على لعبة حمقاء؟ ..

قال العددة : نعم .. إن هذا هو أخطر اتهام يمكن أن توجهه
يا جيمس جريمي .. وسوف أخذ كل الإجراءات .. في المساء تم
إعلان الاتهام رسميًا .. وأنكر المتهمان .. وكانت التهمة المضادة
هي أنه مادام جيمس جريمي هو الوحيد الذي يعرف أن جرينوود
قتل .. فإن المنطق هو توجيه الاتهام إليه بأنه هو القاتل ..
شحب لون جيمس عندما سمع هذا .. وأدرك فجأة أنه عندما عاد

إلى المقبرة وحفر بحثاً عن جثمان الضحية .. لم يجد شيئاً ..
وفي المساء .. وبينما هو في فراشه بجوار زوجته التي كانت
تغط في نوم عميق سمع جيمس الصوت الواهن الذي أصبح
يرعبه .. كان الصوت شديد الوهن : « تذكر يا جيمس ما قلته لك ..
سيملاً شبحي أحلامك إلى الأبد » ..

وفي اليوم التالي أصر على اصطحاب العدة . إلى مكان
القبر .. ولكن عندما ذهبا وجد أنه نسي أى شجرة سنديان وقف
هو وشبح جرينوود إلى جوارها على بعد ١١ خطوة .. إن هناك
عشرات الأشجار .. ونفد صبر العمد ورفض الاستمرار في
البحث ..

وذهب جيمس وحده في اليوم التالي لاستكمال البحث .. دون
جدوى .. وفي المساء سمع نفس الصوت الواهن يذكره بما قال ..
بعد أسبوع بدأ نظر القضية أمام العدة .. وكان جيمس يذهب
كل يوم للبحث عن القبر .. وبدأ يواجه الأعين تتهمه هو نفسه ..
بينما هو لا يستطيع إيجاد الدليل على اتهامه ..

وذات ليلة بينما هو نائم جاءته فكرة الذهاب إلى نفس المكان
في نفس الوقت الذي ذهب فيه أول مرة .. وبعد أن سار لمسافة
نصف ميل تقريباً وقف ليجد نفسه بالفعل بجوار شجرة سنديان ..
وببدأ يعد خطواته .. وفي الخطوة الحادية عشرة وجد المقبرة ..
وببدأ يحفر .. ليجد الإناء المعلوّب بنالدم .. وترك القبر مفتوحاً ..
وعاد بعد ساعات قليلة إلى منزل العدة . وحكى القصة وطلب
بعض الشهود .. وأثنين من حفارة القبور المحترفين .. وذهبوا
جميعاً في حضور العدة وحفروا ليجدوا الجثة .. وخلال ثلاثة
أيام انتهى نظر القضية وصدر الحكم بشنق الرجلين .. ولكن تنفيذ

الحكم تأجل لمدة أسبوع حيث تقدما بالتماسات العفو .. ثم في
الأسبوع الأخير من عام ١٦٨١ تم تنفيذ حكم الإعدام شنقًا في
كل من جون شارب وجيمس واكر .. وفي تلك الليلة وبينما جيمس
جريمًا في طريقه إلى فراشه همس أحلى وأنغم صوت في العالم
في أذنيه : شكرًا لك يا جيمس .. ولبيبارك الله ..

إننى لن أضايقك مرة أخرى » ..

هل كان دراكولا يبحث عن
حذاء جديد؟
طلب الغريب ذو المعطف
الأسود فردة حذاء وذهب إلى
المقابر لينام في مقبرة
حديثة!



الإسکافی .. والمقبرة

إيان فيلوس جوردون

كان رابي هينسيكل مشهوراً كأحسن إسکافی أو صانع أحذية في بلدة سانت أندروز باسكتلندا .. ومهما كان برد الشتاء فإن هينسيكل كان يصر على فتح محله في السادسة صباحاً .. ولم يكن ذلك يكلفه مشقة كبيرة فمحله ليس أكثر من حجرة في الدور الأرضي من منزله ..

وفي صباح أحد أيام شهر ديسمبر كان رابي في محله يعمل بجد منذ أكثر من ساعتين عندما حضر إليه عميل وال الساعة تدق الثامنة صباحاً .. كان بعض من ضوء النهار لايزال في الشارع .. دخل الرجل المحل وأغلق الباب وراءه .. نظر إليه رابي .. وقد تضائق قليلاً حيث كان ينهي العمل في حذاء أسود جميل بيازيم فضي .. ولاحظ أن الغريب لا يبتسم .. كان طويلاً بشكل واضح ويرتدى معطفاً أسود طويلاً .. حتى إنه يبلغ طول رابي مرة ونصفاً.

قال له : نعم .. ماذ تريده؟ كان الأمر مثيراً للدهشة أن يحضر العلاء في وقت مبكر هكذا ، فهذا هو وقت إنجاز العمل .. وقد بدأ الضيف وكأنه استيقظ من سبات طويل وهو يقول : آسف

جدا .. إنها وقاحة مني الآن مجرد الوقوف هنا والحملقة في حملة الجميل .. ولكن هل تعمل بهذه المهنة منذ فترة طويلة؟ ..

رد رابي: «نعم منذ كان عمري ١٠ سنوات .. أى منذ ٢٦ سنة .. وقد ورثت المهنة عن أبي ..» .. قال الغريب أحلا ذلك؟ .. قال رابي: «نعم .. ولا توجد أحذية في العالم كله أفضل من أحذية تام هيسبيكيل» .. رد الغريب قائلاً: «إذن فأنت تسير على خطواتهم» .. وضحك ضحكة عريضة .. قال رابي وقد بدأ كراهيته تزداد للغريب: «إنني فخور باتباع خطى أبي .. وفخور بحقيقة أنه لا يوجد صانع أحذية في سكتلندا يمكنه أن يطأولنى .. بالرغم من أنني لا يمكن أن أصل إلى مستوى أبي .. قال الغريب الطويل في المعطف الأسود: «إنك تحاول أن تبدو متواضعاً» .. نظر رابي جيداً إلى وجه الغريب فوجده شاحباً حتى برغم أشعة الشموع الصفراء داخل المحل .. لاحظ رابي أن الشموع تذوب بسرعة .. بينما هذا الغريب يضيع الوقت في حديث لا معنى له .. لذلك فقد نظر إلى الشموع ثم إليه وسأله: «هل تريد شيئاً لنفسك؟ ..

رد الغريب: هذا الحذاء الذي تعمل فيه الآن .. هل هو لأحد؟ .. «لا .. ليس لأحد عندما سأنتهى منه سأضعه في غلaciونية العرض .. وعندما يراه أحد الناس سيأتى ليجربه .. وإذا جاء مناسباً سأشتريه .. وسيخرج سعيداً لأنني لا أطلب إسحارة كبيرة» .. فسأل الغريب: وكم تطلب لهذا الحذاء الذي تعمل فيه الآن؟ .. قال رابي: إنني لم أئته من «الفردة» الأخرى بعد .. قال الغريب: وكم ستطلب في الزوجين عندما تنتهي منها؟ .. قال رابي: «٨ شلنات» رد الغريب: «حسناً .. إذن سأشتريه» .. فسأل رابي مدهشاً: ولكنك حتى لم تجرب تلك التي في يدي .. فكيف تعرف أن الحذاء سيناسبك؟ .. قال الغريب: أعرف أنه مقاسى ..

قام رابى بالانتهاء من وضع الإبزيم مكانه .. وسلم فردة الحذاء للغريب وهو يهز كتفيه .. فقام الرجل الغريب بخلع فردة من حذائه البنى الغريب .. ثم وضع الحذاء الجديد مكانه .. وقال .. لرابى : ها أنت ترى أنه مقاسى تماما .. إذن سأشترى الحذاء .. قال رابى : ولكن الفردة الأخرى لن تنتهى قبل يوم كامل .. لم يعر الغريب ما قال رابى أى انتباه ووضع يده فى جيب معطفه الأسود العميق .. وأخرج بضع قطع فضية أعطاها لرابى : هاهى ٨ شلنات ثمن الحذاء .. ومتى ستكون الفردة الأخرى جاهزة؟ قال رابى : فى الرابعة بعد ظهر غد .. الرابعة تماما .. قال الغريب : إذن اتفقنا سأعود للحصول على الفردة الأخرى غدا فى الرابعة .. وسأخذ هذه معى ..

بعدها ولدهشة رابى .. لم يخرج الغريب وفردة الحذاء تحت إيطه .. ولكنه وضع فردة الحذاء البنى القديم فى جيب معطفه .. وخرج من المحل مرتديا فردين إحداهما قديمة .. والأخرى جديدة ..

ونظر رابى إلى العملات الفضية التى تبرق فى يديه .. إنها جديدة تماما .. وبدأ يفكر فى سلوك هذا الغريب .. ثم قرر أن ينسى كل شيء ووضع العملات الفضية فى جيبيه وبدأ يعمل فى فردة الحذاء الأخرى ..

وفجأة وجد جسده يرتعش من البرد .. ما هذا؟ .. إن المحل دافئ .. وهو لم يكن يشعر بأى تعب عندما استيقظ .. ما هذا؟ هل هذا هو الخوف الذى تركه هذا الغريب؟! أم أن هذا الغريب جاء ومعه هذا البرد؟! وشعر رابى أن روحه ما قد تملكته ..

بعد قليل ارتدى رابى ملابسه .. وترك فردة الحذاء .. وأغلق باب المحل خلفه وخرج فى نصف الظلام فى ذلك الصباح من فصل

الشتاء .. يبحث عن زبونه الغريب في شوارع سانت أندروز الضيقه .. وفي الشارع الذي امتلاه بالرياح وصوت ماء البحر خلفه بدأ رابي يتعجب من سبب إجبار هذه الروح الزائرة له على الخروج من دفء المحل إلى برودة الجو .. ولكن شيئاً ما كان يدفعه للبحث عن الرجل الغريب ..

ونجأة .. بدأ يسمع وقع أقدام عرفها على الفور .. إن صاحبها يرتدي فردة من حذاء قديم .. وأخرى جديدة .. وبالفعل رأى الرجل الغريب من ظهره .. وأمام مدخل مدفن ضخم وقف الرجل الغريب .. ووقف رابي أيضاً .. وتساءل : ماذا يريد هذا الغريب من المدفن؟! ..

وحاول رابي أن ينتظر قليلاً حتى لا يراه الغريب الذي كان يعدو بين شواهد القبور الرخامية .. فجأة توقف الرجل الغريب .. وبدأت دقات قلب رابي تتواتي بصوت مرتفع ..

ثم حدث مالم يكن يتوقعه رابي على الإطلاق .. شيء مخيف أكثر رعباً من حدوث مواجهة مع الغريب .. اختباً رابي خلف أحد القبور .. وكانت دقات قلبه عالية الصوت حتى إنه خشى أن تقضي .. وشعر بأن قدميه لا تتحملانه .. ذلك أن الرجل الغريب نظر بهدوء إلى قبر فارغ محفور حديثاً ثم قفز داخله .. خرج رابي من المكان المختبئ فيه .. والرعب يملأ قلبه .. ليرى رأس الغريب وكفيه وهو يرقد في المقبرة ويهلل التراب فوق نفسه بأقصى سرعة ..

ملأ الرعب قلب رابي وهو يقترب من القبر .. ثم وهو ي العدو بأقصى سرعة ممكنة في الشارع المؤدى إلى المدافن إلى منزل أحد أصدقائه .. وأخذ يضرب بباب المنزل بقوة كالمحنون .. وطلب

من صديقه جون لامسدن أن يحضر إليه على وجه السرعة ويستدعي بعض الأصدقاء الآخرين .. «لقد حدث شيء مرعب في المدافن .. إننا في حاجة لأن نحفر قبرا .. وسنحتاج إلى معاول» .. قال لامسدن في رعب: «نحفر قبرا؟ .. ولكن؟ .. «إن لم تحضرؤا وتفعلوا ما أقول فإن الشيطان بنفسه سيأتي إليكم هذه الليلة ..

وعلى الفور خرج لامسدن إلى الشارع وأيقظ اثنين من جيرانه .. وخلال دقائق كان ٤ رجال .. ٣ مرتبكون .. وواحد يسوده الرعب .. يحملون المعاول في طريقهم إلى المدافن .. وبعد دخولهم أشار رابي: «هذا هو» .. رد أحدهم: «ماذا؟ .. قال: «المقبرة الجديدة .. هنا تماما» .. «إنني أراها ولكن مقابر جديدة تحفر هنا كل يوم» .. قال رابي: «نعم ولكن هذه المقبرة مختلفة .. لقد شاهدت الرجل لتوى بنفسه وهو ينزل داخلها» .. «ينزل داخلها بنفسه؟» .. «نعم .. نعم .. كما قلت لكم .. نزل بنفسه وأهال التراب فوقه» ..

«بدأ الرجال الأربع يحفرون .. خلال دقائق وجدوا الرجل الغريب في المعطف الأسود .. كان ميتا .. ميتا بلا شك .. دون نعش ..

«والآن ماذا تريديننا أن نفعل يا رابي هينسبيك؟ .. أليس أفضل له أن يرقد في مقبرته عن أن نحفر له واحدة .. وعلى كل فإنها خطيئة أن نحفر قبر رجل ميت ..

وهنا فكر رابي الذي لم يكذب قط على أحد .. أن يستخدم الكذب مرة .. «إنني أريد أن أخرجه من المقبرة لأنه سرق حذاء مني وهو يرتديه» .. «سرق حذاء؟» .. «نعم .. جاء إلى محل

هذا الصباح منذ ساعة أو أكثر .. وأخذ أجمل حذاء كنت قد انتهيت منه لتوّي .. ووضعه في قدمه وجري .. وهو يرتدي فردة حذاء قديم وأخرى لحذاء جديد لم يدفع ثمنه» .. «ولكنه شيء مختلف .. إنه ميت مثير للضحك، ذلك الذي يخرج لسرقة الأحذية!» .. قال رابي «نعم هذا ما فعله .. ولكن يثبت لك صدق ما قلت .. عليكم أن تحفروا حتى قدميه وسوف ترون في إحداها فردة من حذاء أسود جميل صنعته بآياتهم فضلي .. وستجهدون فردة الحذاء القديم في جيب المعطف» ..

واستمروا في الحفر .. كان صانع الأحذية على حق .. برغم أن الحفر استغرق وقتاً طويلاً، صاح رابي في لهجة المنتصرين: «ها هي ذى - ها هي ذى فردة حذائى .. دعوني أخرجها من قدمه فقط» .. وعادوا يهيلون التراب في المقبرة .. وبعدها خرجوا جميعاً من المقابر بينما صانع الأحذية يحاول تنظيف الحذاء الأسود من الطين الذي ملأه ..

وعندما وصلوا إلى الشارع الذي يسكنه الثلاثة شكر لهم رابي مساعدتهم من كل قلبه .. وردوا تحيته بقولهم إنهم سعداء بتقديم الخدمة خاصة عندما يكون الهدف منها حفر قبر لرجل دفن نفسه منذ قليل .. وقال أحدهم لو كان الرجل حياً لكان قد هنأنا أنفسنا على إنقاذه حياة .. ولكنه لم يكن حياً ..

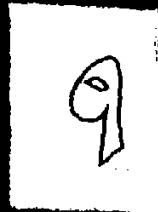
ووادعهم رابي هينسيكيل .. وببدأ يفكر في الثمن الذي سيطلبها للحذاء .. وحتى لو طلبت ٨ شلنات فقط .. للحذاء .. فإننى سأكون قد ربحت ١٦ شلنًا .. وقال لنفسه إنه لابد أن ينتهي من الفردة الأخرى للحذاء قبل الرابعة بعد الظهر .. والآن عليه أن يحتفل مع الأسرة .. ليست هناك ضرورة ليقول كل شيء لزوجته .. سيقول

فقط إنه صنع حذاء جميلا وحصل مقابلة على مبلغ جيد من المال ..

وبالفعل كان حفلا استمر حتى منتصف الليل .. وذهب رابى لينام فى حجرته بينما زوجته قلقة جدا فى حجرتها .. لم يتوقف رابى عن الغناء طول الليل .. حتى إنها تمنت أن ينام ليمكنها النوم .. وعندما دقت الساعة الواحدة .. كانت هي لا تزال مستيقظة .. وكذلك عندما دقت الثانية .. ثم الثالثة .. فالرابعة .. وأغنية رابى لا تزال مستمرة .. وفجأة توقفت الأغنية .. وصدرت أعنف صرخة سمعتها زوجته فى حياتها حتى إنها غطت أذنيها بالوسادة على السرير .. ثم أسرعت إلى حجرة الزوج فلم تتعثر له على أثر .. ونزلت إلى المدخل فلم تجد شيئا ..

فأسرعت إلى بعض أصدقائه الذين كانوا معه صباح اليوم السابق فى المدافن وأسرعوا جميعاً إلى هناك ومعهم الزوجة .. وعندما نظروا إلى المقبرة التى كانوا قد حفروها وجدوا قبة رابى .. ومعطفه .. ثم وجدوا جثة الرجل الغريب الطويل وهو يرتدى فى قدميه فردة حذاء أسود جميل بيازيم فضى !!

أسطورة شبح سير بارني
بروجريف .. وأسرته .
حفل ليلة رأس السنة .. كل
ضيوفه من الأشباح وهذا شبح
لحمار أبيض يخترق
الجدران .



بعض أشباح نورفولك

جيمس ونتورث داي

كنا عائدين في ضوء نجوم الشتاء عبر مستنقعات بروجريف المقفرة التي تقع بين التلال الرملية وبحر الشمال البارد .. في واحدة من أبعد المناطق وأكثرها وحشة وبرودة أيضاً في إنجلترا، وعلى هذا الساحل كان يوجد الكثير من السفن .. كنا نسير على أرض لم تتغير لقرون .. قلت لصديقي ديك جيتنز : «إنه لشيء طيب أن نعرف طريقنا في هذه المنطقة .. كان كل منا يحمل بندقية ثقيلة لصيد البط .. وحقيقة جلدية مع كل منا تحمل فيها زوجين من الأرانب البرية .. رد جيتنز : «أعتقد أنه يصبح شيئاً شديداً الصعوبة أن يضل إنسان طريقه هنا» .. وبعد لحظات قال جيتنز : إن هذه المنطقة كلها كانت تخصن رجالاً واحداً هو بروجريف ولذا سميت باسمه .. والمزرعة هناك هي مزرعته .. وكذلك البرج ..

فقلت له : إن أسطورة سير بارتي بروجريف ذلك البارونيت صديق الأشباح إحدى الأساطير المعروفة جيداً في تاريخ نورفولك .. ويقال إن السير بارتي باع روحه للشيطان .. ويبدو أن الشيطان تركه في مقابل شيء كبير ..

ولكن قبل الحديث عن أساطير السير بارنى في هذه الليلة الشتوية المظلمة .. دعنا نتحدث عن ضيعة فوكسهام هول .. إن أحداً من عشاق الفن المعماري والتاريخ القديم والجمال لابد أن يكون قد هاله ما شاهد في بناء هذه الضيعة سواء القصر أو الكنيسة .. إنها تبدو كقطع من الجوادر تتلاأ تحت التلال الرملية في إطار من مئات الأمتار على بعد من بحر الشمال .. وكم مرة تعرضت المنطقة لفيضان البحر ولكن في النهاية كانت هذه الضيعة تظل كجزيرة وسط بحيرة هائلة .. وفي ذات مرة عام ١٩٣٨ ظهر شيخ سير بارنى يسير على الماء راكبا فرسه ويصعد على جدران القصر الذي عاش فيه من قبل .. وكان يضحك ضحكة عالية كصوت الرعد .. ويقول بصوت عال : «لقد أغرقتم أراضي وضييعتى تحت الماء» ..

كنت أفكر في هذا وأنا قابع - ليس بعيدا - على قمة التلال الرملية العالية .. وإلى أسفل مياه البحر وتحتها يظهر القصر والضيعة .. التي عاش فيها وحارب وشرب ، وقد مات السير بارنى بروجريف في القرن الخامس عشر ..

وقد كان هناك الكثير من الضياع التي غرقت حاليا تحت الماء .. وفي كتابه عن تاريخ نورفولك يقول بلومفيلد - نشر الكتاب عام ١٧٧٥ : كان أوليفر دي إنجهام هو حاكم هذه المنطقة عام ١١٨٣ ، ثم جاء بعده السير جون دي إنجهام في عهد الملك جون ..

ومن هذه الأسرة وعن طريق النسب وصلت إلى سير مايلز ستابلتون ، ومن تلك الأسرة وعن طريق النسب وصلت إلى سير ويليام كالثورب الذي قام حفيده ويليام كالثورب ببيعها إلى سير

توماس ودهاوس الذى كان لورداً فى عهد الملكة إليزابيث .. ومن هذه الخسائع كانت ضيعة إنجهام ..

ويقال إنها كانت مسكنة بأرواح أسرة بروجريف الذين ماتوا مقتولين .. ومنهم سير رالف ثم سير أدموند الذى مات فى حرب البارونات .. وسير جون وسير فرانسيس وسير توماس وسير تشارلز ..

أما سير بارنى فقد كان نموذجاً لزير النساء الفاسق الأعزب .. ولكنه لم يكن شريراً لأنه لم يضر الآخرين قدر ما أضر بنفسه .. وقد كان رجلاً شجاعاً قوياً شديداً بالباس .. مات أعزب ولكن عدد عشيقاته كان كثيراً .. فقد كان يعتبرن الحمل منه شرفًا كبيراً ..

ويذكر ديك جيتنز ما قاله بعض العجائز عن حفل العشاء فى ليلة العام الجديد الذى كان يقيمته سير بارنى فى فواكههان هول لأشباح أقاربه سير رالف وسير أدموند وسير جون وسير فرانسيس وسير توماس وسير تشارلز .. حيث كانت المائدة الكبيرة فى حجرة الطعام يتم إعدادها بالأطباق الفضية وأكواب الكريستال .. وتتقد الشموع .. وعلى رأس المائدة كان يجلس سير بارنى .. وعلى جانبيه ٣ من هؤلاء الأجداد الأشباح .. تملأ كثوسهم بالنبيذ الأبيض والبراندى المعتق فى كل مرة .. ويفرغونها ثم تملأ من جديد ..

وكان الخدم يملئون الكؤوس كل مرة .. ويرفع سير بارنى كأسه قائلاً : إننى أشرب فى صحتكم سير أدموند .. سير رالف .. سير تشارلز ..

ثم يبدأ فى إلقاء الأغانيات القديمة التى تمتدح شجاعتهم فى المعارك .. وشجاعة بعضهم فى صيد الثعالب .. وفي منتصف

الليل تترك الأشباح المكان وتخفت أصوات الشموع .. ويرتمي سير بارني في مكانه على رأس المائدة حتى الفجر .

لذلك فإن الذين شاهدوا شبح السير بارني وهو يتتجول في الليالي الشديدة البرودة كانوا يرونـه كأثر قديم متـهـالـك .. وكان والـتر رـأـى أحد المحـامـين المعـروـفـين فـي نورـفـولـك وـهـوـ مـنـ مـؤـرـخـي عـائلـات نورـفـولـك ، وـكـانـ وـاـحـدـاـ منـ الـذـينـ قـدـمـواـ شـهـادـتـهـمـ عنـ شـبـحـ سـيـرـ بـارـنـي .. وـعـنـ سـيـرـ بـارـنـيـ ذـاتـهـ حـيـثـ قـالـ :

لقد كان سير بارني بروجـريفـ رـجـلاـ شـرـيراـ باـعـ روـحـهـ للـشـيـطـانـ نـهـائـيـا .. وـعـنـدـمـاـ مـاتـ ذـهـبـ وـدـعـاـ الشـيـطـانـ ، وـقـالـ لـهـ : هـأـنـذـاـ ! وـقـالـ لـهـ الشـيـطـانـ : «ـسـيـرـ بـارـنـيـ إـنـىـ أـرـاكـ رـجـلاـ لـطـيفـاـ» .. فـقـالـ سـيـرـ بـارـنـيـ : حـسـنـا .. إـنـ عـلـيـكـ أـنـ تـطـلـبـ مـنـيـ الـجـلوـسـ .. فـقـالـ لـهـ الشـيـطـانـ : «ـإـنـىـ أـبـحـثـ فـيـ حـسـابـكـ لـأـحـدـ كـيـفـ سـتـكـونـ بـعـدـ .. وـكـانـ يـسـعـدـنـيـ أـنـ تـقـضـيـ مـعـيـ اللـيلـ .. وـلـكـنـ هـذـاـ غـيـرـ مـمـكـنـ» ..

هـنـاـ تـسـأـلـ سـيـرـ بـارـنـيـ أـيـنـ يـذـهـبـ تـلـكـ اللـيلـةـ .. وـقـالـ غـاضـبـاـ لـنـفـسـهـ إـلـىـ الجـهـيمـ .. وـبـقـىـ هـنـاكـ ..

وـالـآنـ تحـولـتـ مـعـلـكـةـ سـيـرـ بـارـنـيـ بـروـجـريفـ فـيـ الصـيفـ إـلـىـ مـكـانـ مشـمـسـ هـادـئـ .. أـمـاـ فـيـ الشـتـاءـ فـتـصـبـحـ مـكـانـاـ مـرـيـرـاـ مـلـيـئـاـ بـالـضـيـبـابـ المـثـيـرـ لـلـحـزـنـ وـالـخـوـفـ .. وـالـمـجـارـىـ الـمـائـيـةـ السـرـيـةـ وـالـأـشـجـارـ الضـخـمـةـ الـمـعـمـرـةـ ..

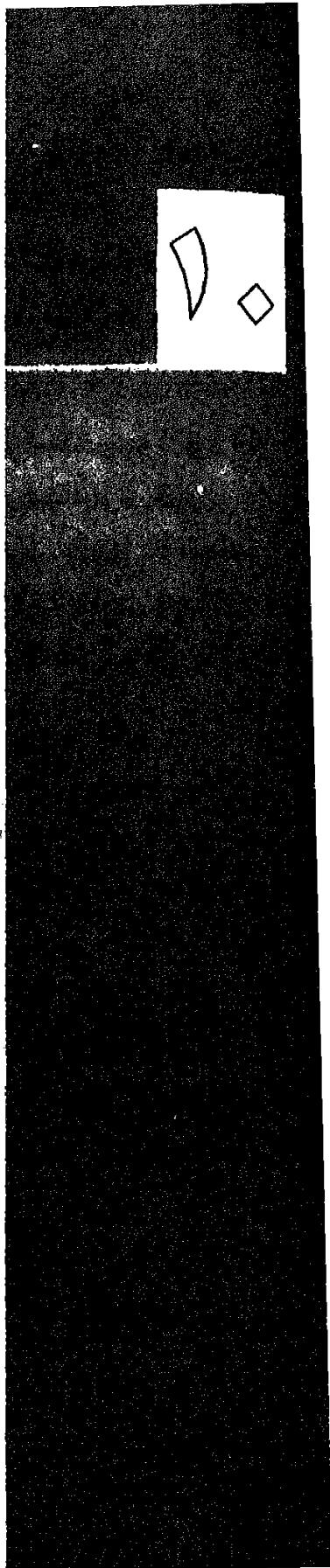
وـهـنـاكـ شـبـحـ شـهـيرـ آـخـرـ مـنـ الأـشـبـاحـ التـىـ تـسـيـرـ عـلـىـ سـطـحـ المـاءـ وـهـوـ الكـولـونيـلـ توـمـاسـ سـيـدـنـىـ الذـىـ اـخـتـطـفـهـ الشـيـطـانـ فـيـ ٣١ دـيـسـمـبـرـ ١٧٧٠ ، وـأـلـقـىـ بـهـ فـيـ عـرـبـةـ تـمـلـؤـهـاـ الأـشـبـاحـ .. سـارـتـ بـهـ شـيـرـنـاـ شـوـارـعـ مـنـطـقـةـ رـانـورـثـ .. وـأـخـذـتـ عـرـبـةـ تـجـرـىـ مـثـيـرـةـ لـأـخـرـةـ غـامـضـةـ فـيـ الـهـوـاءـ .. وـيـحـدـثـ فـيـ نـهـاـيـةـ كـلـ عـامـ أـنـ تـجـرـىـ نـفـسـ الـعـرـبـةـ فـيـ شـوـارـعـ مـثـيـرـةـ لـلـأـخـرـةـ الـغـامـضـةـ ..

وقرية رانورث مليئة بالأشباح وفي كنيستها الفخمة يوجد كنز ثمين .. وهو كتاب عن كل أعمال السحر في العصور الوسطى .. كما تضم هذه الكنيسة مجموعة من أجمل اللوحات الزيتية التي يقال إن مجموعة من الأعضاء الألمان في مدرسة فيلهيلم من كولونيا الذين أقاموا في نورفولك في القرن الخامس عشر هم الذين قاموا برسمها في القرن الخامس عشر ..

ومن الطف الأشباح في قرية نورث شبح لراهب يقولون إنه يظهر في الليالي المقرفة في قارب من طراز قوارب العصور الوسطى ، وبجانبه شبح لكلبه البني يجلس إلى جواره ..

وهناك أيضا شبح حمار له قرون ، وهو حمار أبيض غير مؤذ .. ويحكي أحد سكان قرية رانورث عن هذا الحمار قائلا : «كنت عائدا في إحدى ليالي الشتاء الباردة وسمعت صوتا غريبا ورأي .. نظرت لأجد حمارا أبيضا له قرون .. بدأ .. أحاول الاقتراب منه .. وبالرغم من أنني كنت أسير تجاهه فلما المسافة بيننا لم تكن تقص .. ثم فجأة انطلق الحمار يعدو .. وبدأت أشم رائحة الكبريت قوية .. وأخذ يختفي تدريجيا حتى أصبح مجرد ضوء قوي يبرق على بعد ، بعد أن مرق عبر جدار الكنيسة .. وفي صباح اليوم التالي ذهبت إلى نفس المكان ولكن لم أجده أى فتحة في جدار الكنيسة !

هذا المؤلف يحكي قصته مع
المنزل المسكون كلما انفرد
بنفسه سمع صوت أقدام .
في الطابق الأعلى .. وعندما
يصلع لا يرى أحدا .



المنزل المسكون

عندما توفيت زوجتى الأولى كنت أسكن شقة صغيرة فى قرية بسيطة .. كنا قد انتقلنا إلى منطقة (كنت) من منطقة جزر القناة قبلها بست سنوات ..

كان الأطباء قد أجروا جراحة لزوجتى واستخرجوا ورما خبيثاً من ذراعها وأبلغونى أنه محكوم عليها بالموت قريباً .. ونصحونى بأن أجعل العالم من حولها شيئاً مثيراً للسعادة والفرح .. ونجحت تماماً في ذلك حتى أنها عندما ماتت بعد ذلك بثلاث سنوات كانت صدمتني شديدة لأننى صرت لا أتوقع أن يكون مقاله الأطباء صحيحاً ..

لم أكن متأكداً مما إذا كانت زوجتى تعلم شيئاً .. ولكنى كنت أشعر أنها تدرك الحقيقة وأنها تحاول بكل الطرق نشر السعادة من حولى حتى لا أعرف .. ومن بين أسباب اعتقادى في ذلك أنه بمجرد إجراء الجراحة طلبت مني بالحاج تغيير الشقة التي نسكنها بشقة أوسع يمكنها أن تتحمل أطفالنا وأسرهم فيما بعد .. وبالفعل عثرت لنا على منزل كبير على الطراز الجريجورى تم بناؤه عام ١٣٦٤ .. كان المنزل يتكون من ٣ غرف في الدور الأرضى و ٧ حجرات نوم في الطابقين الأول والثانى .. وقد جعلت

من إحدى حجرات الدور الأول حجرة مكتب لي .. فوقها كانت هناك حجرة نوم كبيرة كان الوصول إليها عبر حجرة نوم أخرى .. بينما هناك سلم داخلي يؤدي إلى حجرات النوم الأربع في الطابق الثاني ..

وفي الطابق الأرضي كانت حجرة المكتب الخاصة بي منفصلة عن حجرة الطعام بصالات طولية .. وكان باب المدخل لحجرتي مغلقاً بصفة دائمة وغير مستخدم .. أما حجرة الطعام فكانت تفصلها عن حجرة الاستقبال صالة أخرى .. كنا نستخدم غرفة الطعام فقط عندما يكون لدينا ضيوف ولكننا نستخدم حجرة الاستقبال دائمًا ..

هذا الوصف الدقيق للمنزل له ما يبرره مما سيأتي ذكره فيما بعد .. ولكنني أود التركيز الآن على المسافة التي تفصل بين حجرة الاستقبال وحجرة المكتب لأوضح كيف لم نكن ننتبه لبعض الأفعال غير الطبيعية .. وهو أساس روايتي .. قبل ذلك ..

في يوم ١٤ ديسمبر ١٩٦٤ ذهبت إلى منطقة كانتري بيري بهدف الفحص الدوري لزوجتي في مستشفى (كنت) والقيام ببعض المشتريات الخاصة بأعياد الميلاد .. بعد الفحص في المستشفى ذهبتنا إلى أحد الفنادق لتناول طعام الغداء .. كان القلق باديًا على زوجتي حيث إن أحد الأطباء طلب بعض الفحوصات عليها وتعليقًا على ذلك قالت لي : أعتقد أنهم يشكون في إصابتي بمرض اللوكيميا ..

حاولت تهدئتها وقلت لها إن كل ما تعتقده ليس أكثر من أوهام .. شعرت أنها تنظر إلى كما لو كانت تحاول اكتشاف ما

إذا كنت أكذب عليها .. ثم وضعت يدها فوق ركبتي وقالت : حسنا
ياعزيزي إبني أصدقك كالعادة ..

وبينما نحن نتناول طعام الغداء ناقشنا خلط الشراء .. وبرغم
قلقها فإنها كانت متحمسة جدا .. وبعد الغداء وبينما نحن نتناول
القهوة وجدتها متعبة .. فاقتربت إليها أن تعود للمنزل حتى
تستريح ونخرج في اليوم التالي .. ولدهشتى وافقت في الحال ..
وقدمنا لكي نفادر المكان .. وطلبت هي الذهاب إلى الحمام ..
وانتظرتها في صالة الاستقبال ولكنها تأخرت لوقت طويل ..
ذهبت إلى الحمام وجدت على الباب ضجيجا جعلنى أشعر بالقلق
وأن هناك شيئا غير سار .. ووجدت إحدى العاملات في الحمام
تهزول خارجة ، أوقفتها وطلبت منها العودة للاطمئنان على
زوجتى .. فوقفت قليلا ثم مضت في طريقها .. وهناكسرت كل
القواعد واقتحمت الحمام لأجد زوجتى على الأرض .. نظرت إلى
وحاولت أن تقول شيئا لكنها لم تستطع .. كان الشلل قد أصابها
 تماما باستثناء ذراعها اليسرى ..

بعد قليل وصلت سيارة الإسعاف وحملت زوجتى .. وتابعتهم
إلى المستشفى بسيارتي .. وبعد ساعات بدأ كأنها أيام طوال
جاءنى الطبيب قائلاً : أخشى أن تكون النهاية ، لقد هاجم
السرطان المخ دون إظهار أى أعراض .. إن أمامها ساعات أو
أيام قلائل .. إبني لجد آسف ، .. «النهاية» ، عم يتكلّم هذا الرجل ؟
كيف يمكن أن تكون هذه هي النهاية ؟ .. كانت الصدمة . كما قلت .
أشد مما توقعت .. وعاشت زوجتى (جو) في غيبوبة لمدة ١٠
أيام وماتت في الثانية والنصف عشية عيد الميلاد ..

كنا قد تزوجنا منذ ٣٢ سنة .. واقتربنا أكثر وأكثر خلال

الاثنى عشر عاماً الأخيرة .. كان عمرها ٥١ سنة .. ولذلك كان حزني شديداً .. لم يخفت أبداً .. وأصبح المنزل الكبير بحراطه الإحدى عشرة هو ضريحي .. كنت أغادره فقط لشراء الطعام وسرعان ما أعود إليه ..

كنت أنام ٤ ساعات فقط يومياً منذ الحرب العالمية الثانية .. حين أصبحت كاتباً متفرغاً .. استيقظ في الرابعة صباحاً وأظل أكتب لمدة ٣ ساعات ثم أتناول طعام الإفطار وأعود إلى الكتابة .. حتى أتناول طعام الغداء وأعود إليها مرة أخرى حتى السادسة، بعدها أترك العمل جانباً حتى موعد ذهابي إلى الفراش .. وفي أيام السبت والأحد لا أكتب مطلقاً .. أما الآن ولأن العمل هو الشيء الوحيد الذي يجعلني أنسى حقيقة فقدانى لنصف حياتي .. فإننى بعد تناول عشاء الخفيف في السابعة مساءً أعود إلى حجرة مكتبى ..

وحدث ذلك ذات مساء في بداية الربيع .. سمعت صوت خطوات أقدام في حجرة النوم أعلى حجرة مكتبى .. وللحظة اعتقدت أن ما أسمعه هو مجرد تخيل .. (على فكرة أنا لست كاتباً خيالياً) .. كانت أصابعى تعمل على أزرار الآلة الكاتبة .. وتوقفت قليلاً لأسمع بوضوح صوت خطوات الأقدام .. ظننت أول الأمر أننى نسيت أحد الأبواب مفتوحاً في المنزل وأن بعض أطفال الجيران قد صعد إلى الحجرة .. فقمت من مكانى وصعدت بسرعة إلى الدور الأعلى، وبدأت أسير على أطراف أصابعى .. وجدت الباب مغلقاً، حاولت أن أفتحه وجدت مقاومة، صحت بصوت عال: «لأفكاك سوف أمسك بك» .. لم يأتني رد .. فحاولت أن أفتح مرة أخرى .. وزاد صوت صراغى .. ولا مجيب ..

ازداد غضبى .. وملت بكتفى على الباب .. كانت هناك مقاومة في البداية .. فازداد ضغطى على الباب بكل ثقلٍ وفجأة انفتح الباب وسقطت على الأرض .. وشعرت بشيء فوقى ، ظننت أنه ملأة سرير أو ما يشبه .. وبعد فترة من العراك استطاعت النهوض وأدرت مفتاح الضوء .. ويا للدهشة لم يكن هناك شيء على الإطلاق .. أو أحد .. لا ملأة سرير .. أو غيرها ..

قمت من فوري سريعاً وهبّت الدرج أبحث عن كأن داخل الحجرة قبل أن يتمكن من الهرب .. ودخلت المطبخ لأجد بابه الخارجي مفتوحاً فاستمر اعتقادى بأن أحداً ما كان هناك وأنه تمكّن من الهرب ..

أغلقت الباب .. وبذلت أبحث في كل مكان بالمنزل لكنّي أرى ما إذا كان شيء ما قد فقد .. فوجدت كل شيء في مكانه .. صبيت لنفسي كأساً وعدت إلى مكتبي .. وبعد فترة بدأ الهدوء يعود إلى نفسي .. وعدت إلى الكتابة .. وبعد أقل من عشرين دقيقة توقفت عن الكتابة غير مصدق لما تسمعه أذناي لقد عاد صوت خطوات الأقدام .. بإيقاع واحد لا يتغير ..

انتظرت قليلاً وأنا أصغي لصوت وقع الأقدام ثم خرجت من الحجرة وصعدت إلى أعلى .. وبهدوء شديد توجهت إلى حجرة النوم لأجدّها مغلقة .. وضعت أذني على الباب وانتظرت وأصفيت .. لأجد صوت الأقدام تزوح وتتجه .. إن إيقاع الأقدام هو نفسه لا يتغير .. فامسكت بمقبض الباب وفتحته .. وأدرت مفتاح النور .. ولم أجد أحداً على الإطلاق ..

وخلال الأشهر التالية ظللت أسمع نفس الشيء .. ولكنني لم أحارُ أن أعرف السبب .. وفي خريف ذلك العام تعرّفت

بزوجتى الحالية .. وفي الربع التالى تزوجنا أنا وباربارا ..
وتركنا منزلنا إلى منزلها فى قرية قرية ..

وبعد منزلى إلى زوجين لهما ٣ بنات وشاب .. كانت صغرى
البنات عمرها ١٢ سنة .. أما الشاب وهو الأكبر فعمره كان ٢٠
سنة .. وقامت الأسرة بإحداث بعض التغييرات فى المنزل ..

وكان أمام منزلى القديم محل بقالة كبير كان أصحابه
يعرفوننى ويعطفون على كثيرا ، وخاصة أيام مرض زوجتى ..
ومنذ وفاتها أصبحنا أصدقاء .. ولأن القرية التى انتقلت إليها مع
باربارا لم يكن فيها محل بقالة كبير مثل هذا فقد كنا نقوم بزيارة
إلى محل البقالة لشراء لوازمنا ..

وفي أول زيارة لي بمفردى إلى محل البقالة سألنى صاحبه
ويدعى آيدى وارد : رونالد .. ماذا تعرف عن الشبح الذى يسكن
شقتك القديمة ؟

اضطربت قليلا وتذكرت أننى لم أخبر أحدا على وجه الإطلاق
بما مررت به ولا حتى زوجتى باربارا .. وبعد لحظة قلت لأيدى :
«قل لي عما تعرف وسأقول لك عما أعرف» ..

رد آيدى : «حسنا» يوم الجمعة الماضى كان كل السكان الجدد
خارج المنزل فيما عدا البنت الصغرى التى عادت أولا إلى
المنزل .. وعندما دخلت سمعت وقع أقدام فى حجرة الأخت
الوسطى مارجريت .. لذلك فقد صعدت إليها لدعوها لتناول طعام
العشاء ، كان بباب حجرة مارجريت نصف مغلق وعندما توجهت
البنت الصغرى إلى الحجرة أغلق الباب فى وجهها .. وعندما
حاولت أن تفتحه لم تستطع .. اعتقدت أن مارجريت تمزح معها ..
لذلك فقد أمسكت بالباب وحاولت أن تفتحه .. وفجأة فتح الباب ..

ووَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ .. وَقَامَتْ لِتُضْيِئَ النُّورَ لَتَجِدَ أَنَّهَا بِمَفْرِدٍ هَا
فِي الْحَجَرَةِ .. فَانْتَابَهَا الرُّعْبُ وَأَسْرَعَتْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَنْزِلِ وَجَاءَتْ
إِلَيْهَا فِي مَحْلِ الْبَقَالَةِ .. لِتُحَكِّي مَا حَدَثَ .. وَكَانَتْ تَرْتَعِشُ ..
فَحاوَلَتْ تَهَدِّئُهَا وَأَعْطَيْتَهَا شَيْئاً تَأْكِلُهُ ..

سَأَلَتْهُ : وَمَاذَا أَيْضًا ؟ قَالَ آيْدِي إِنَّ الْابْنَ الْأَكْبَرَ يَقِيمُ فِي حَجَرَةِ
مَكْتَبِكَ وَقَدْ حَكَى لِي أَكْثَرَ مِنْ مَرَةٍ عَنْ صَوْتِ أَقْدَامٍ يُسْمِعُهُ فِي
الْحَجَرَةِ الْعُلَيَا .. وَعِنْدَمَا يَصْعُدُ إِلَيْهَا هُنَاكَ لَا يَجِدُ أَحَدًا .. فَصَرَّتْ
أَسْأَلَهُ : وَمَا الَّذِي أَدْرَاكَ أَنَّ لَدِيْ قَصْةَ مَمَاثِلَةً ؟ .. فَقَالَ لِي
مَتَسَائِلًا : حَسْنَا لَقَدْ قَلْتَ لِيْ قُلْ مَا تَعْرِفُ وَسَأَقُولُ لَكَ مَا أَعْرِفُ
فَهِيَا احْكِ لِي ..

وَبَدَأَتْ أَقْصَنَ مَا حَدَثَ لِي .. وَبَيْنَمَا أَنَا أَقْصَنُ الْحَكَايَةِ .. جَاءَ
جُورِدُونَ مُسَاعِدًا آيْدِي .. وَكَانَ قَدْ وَلَدَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَعَاشَ طَوْلَ
حَيَاتِهِ .. وَعِنْدَمَا أَنْهَيْتَ قَصْتِي قَالَ : « هَا .. إِنَّهُ مَا قَلْتَهُ لَكَ يَا آيْدِي
إِنَّهُ شَبَحُ الْعَجُوزِ جُو وَنَتْر .. » فَسَأَلَتْهُ : وَمَنْ يَكُونُ جُو وَنَتْرَ
الْعَجُوزَ ؟ ..

قَالَ جُورِدُونَ : كَانَ ذَلِكَ مِنْذَ ٥٠ عَامًا أَوْ يَزيدُ .. كَانَ جُو وَنَتْرَ
يَعِيشُ مَعَ أَخْتِهِ فِي الْمَنْزِلِ .. وَكَانَ يَحْمِلُ شَمْعَةً وَيَظْلِمُ يَصْعُدُ
مِنَ الدُّورِ الْأَرْضِيِّ إِلَى الدُّورِ الْعُلُوِّ لِسَاعَاتٍ .. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ جَاءَ
رَجَالٌ مُسْتَشْفِي الْأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ وَأَمْسَكُواْ بِهِ ..

سَأَلَنِي آيْدِي : لِمَاذَا لَمْ تَقْلِ لَنَا شَيْئاً عَمَّا حَدَثَ لَكَ ؟ .. قَلْتُ لَهُ :
« لَمْ أَكُنْ سَعِيدًا أَنْذَاكَ وَخَشِيتُ لَوْرُوِيتَ مَا حَدَثَ أَنْ يَظْنُ النَّاسُ
بِالظُّنُونِ ! ..

الأرواح تحاصر الطبيب
البيطرى عاشق الحيوانات ..
ظللت روح أبيه تحوم حوله ..
حتى أعلن أنه سامحه .

٧٧

المتطفل

لورنس ويلسون

بوستر لويلين كان طبيباً بيطرياً مشغولاً بعمله بمدينة فيلتهاام .. عندما بدأ الحديث يتزايد عن الأرواح الشريرة .. ولم يكن لدى لويلين أى اهتمام بالسحر والتنجيم .. كانت الحيوانات هي كل عالمه وحياته لذلك فلم يكن لديه وقت للاهتمام بأى كائنات أخرى أياً ما كانت .. ولم يكن يعتقد في الأرواح الشريرة، وأصبحت تمثل مصدر إزعاج له داخل بيته الذي يضم ١٦٠ كلباً ..

ولكن لم يكن الاهتمام بالأرواح الشريرة فقط هو الذي جعل بوستر لويلين يحتاج إلى روح الدعاية والمرح .. فطوال حياته كان معروفاً بهذا، وفي أول كتابين له عن سيرته الشخصية نقرأ عن الصبي الصغير لويلين الذي يعيش بعد الحرب العالمية الأولى مع والديه وشقياته في منزل كبير في فيلتهاام .. قبلها بسنوات كان والده قد جاء مفلساً إلى لندن من ويلز وكانت ثروة من صناعة الملابس .. وكان يظن أن ابنه سوف يسير على خطاه .. ولكن منذ طفولته لم يكن لويلين يهتم سوى بشيء واحد هو الحيوانات . وبينما عمره ٤ سنوات كان يرقد قلقاً في الليل يفكر في الخفافيش التي يمكن أن تقع في شباك الصيادين في الليل حول ملعب التنس .. وإذا لم يكن تفكيره في الخفافيش .. كان يفكر في

القطط التي تجذب كل اهتمامه .. إنه ينزل بالبيجاما في الليالي المطيرة لكي يجمع القطط خوفا من أن تموت من البرد ..

كان يتعامل مع الحيوانات بشكل أفضل من البشر .. وكان يرفض أكل اللحوم لأنها من حيوانات أو طيور يحبها .. وقد كانت هناك حياة برية تحيط بالبلدة الصغيرة تلك الأيام ، حيث كانت الأرانب والثعالب والقنفذ وأبن عرس . وكان بوستر يعرفها جميعا .. وكان يقول لوالديه إنه يتمنى عندما يكبر أن يصبح طبيبا بيطريا .. وبعد عامين أصيب بفيروس شلل الأطفال وكاد يقترب من الموت ..

فنقلت أمه سريره إلى حجرة تطل على المزرعة حتى تقوم بتربيته ويكون هو قريبا من حيواناته .. كانت الحجرة دائما مليئة بالحيوانات .. فهنا يرقد كلبه .. وهنا قطة وضعت قطتين صغيرتين .. وبدأ بوستر يتحسن ..

وعندما بلغ 11 سنة كان مستعدا للذهاب إلى المدرسة حيث يمارس السباحة ويلعب التنفس .. وفي تلك الفترة كان يذهب - بالأمر - إلى مصنع الملابس الخاصة بأبيه ، وعمل هناك لفترة قصيرة .. بعدها شاهد إعلانا لإحدى جمعيات الحيوان تطلب مدربين ومسوقين . وتقديم بطلب وقبل ، وطلب منه أن يبدأ التمارين لمدة شهر ، وعلم أبوه فكان رفضه عنيفا ، ولما تمسك بوستر كان التحذير : إذا تركت عملك في المصنع فسيكون عليك أن تترك المنزل ولا تعود مرة أخرى .. ومنذ تلك اللحظة لم يقل الأب كلمة واحدة لأبنته ..

وحمل بوستر حقيبته وخرج يقوم بالتدريب في ودفورد .. حيث عمل لمدة 5 سنوات في كل أنحاء لندن .. كان يعود أحيانا إلى منزله حين يعرف أن والده ليس موجودا ليرى أمه

وشقيقاته .. وخلال تلك الفترة كان يجد في نفسه القدرة على علاج الحيوانات بمجرد اللمس .. كما كانت لديه قدرة على تشخيص أمراضها ..

وعندما بدأت الحرب العالمية رفض الجيش تجنيده لأسباب طبية فأنشأ عيادة بيطرية خاصة به في فيلتها .. وفي اليوم الأول للحرب زاره أبوه في شقته ودعاه للعودة إلى المنزل .. وتمت مصالحة بينهما .. ولكن برغم نجاح الابن الواضح فإن الأب كان يعيش في صمت .. ومع أنها كان يعيشان معاً في نفس المنزل فإنه لم يحدث ابنه لمدة سنة ثم مات ..

وكان عام ١٩٤٠ هو أسوأ الأعوام في تاريخ الحيوانات في بريطانيا ، فوسط نقص الطعام والقصف المستمر أصبحت الحيوانات شيئاً غير مرغوب لدى البريطانيين فقد كان من المستحيل رعاية الحيوانات وإطعامها .. لذلك فقد امتلأت عيادة بوستر بالعشرات من الحيوانات أرسلها أصحابها بسبب الضرورة القاسية .. كان بوستر يأخذ الحيوانات إلى الحديقة التي ازدحمت .. وداخل المنزل .. وانتقل هو ووالدته إلى مكان آخر قرب فيلتها وكان متزلاً به حديقة من ١٠ أفدنة بني فيها بوستر أماكن كبيرة للحيوانات ، كان بالحديقة ١٦٠ كلباً وعشرات من القطط والبط والدجاج والغزلان والحمير والقرود .. وببغاء اسمه بوليوا ، كان ذا شهرة بأعمال العنف ولكنه كان يذهب مع بوستر إلى كل مكان وهو على كتفه ...

وكان إطعام الحيوانات هو المشكلة الكبرى .. وبرغم أن الوجبة لم تكن كبيرة فإن أحداً من الحيوانات لم يشعر بالجوع .. وكان هناك مطبخ كبير في الحديقة يرسل إليه الناس من كل مكان بقايا طعامهم .. كما كانت هناك بحيرة صغيرة مليئة بالسمك ..

وكان بوستر يمارس عمله في وقت الحرب، ويذهب إلى الأماكن التي تتعرض للقصف لإنقاذ الحيوانات المصابة ..

وبعد قليل من انتقالهم إلى المنزل الجديد كان بوستر يعبر الحديقة عندما فوجئ بحجر يمر بجوار رأسه .. ثم حجر ثان .. وثالث .. واعتقد بوستر أول الأمر أن طفلًا صغيرًا فوق شجرة يلقى عليه بالحجارة .. ولكن عندما بدأ هذا الأمر يتكرر يوماً بعد يوم بدأ يشعر بالقلق .. ثم لماذا لا يصيغ أى حجر؟ .. وما تفسير هذا الذي يحدث؟ إنه يعرف العاملين معه جيداً .. ومتتأكد أنهم لا يمكن أن يمارسوا هذه اللعبة، إن الحجارة تتبعه أحياناً حتى المنزل وتكسر زجاج النوافذ .. واستمرت هذه اللعبة لمدة سنة .. ولكن ظاهرة أخرى جديدة غير سارة بدأت تحدث ..

ف ذات يوم وهو يصعد السلم الخلفي وإضاءاته غير جيدة فوجيء بيدين على رقبته تضغطان ولكن برفق .. انتابه الخوف .. ودعا أصدقائه للصعود على السلم ليعرف ردود أفعالهم .. إنهم جميعاً يشعرون بالأيدي غير المرئية والضغط على أعناقهم .. وتجنب بوستر استخدام هذه السلالم وخاصة في الليل ..

وفي هذه الأثناء زاره خمسة من ضباط الجيش سعد جداً لما علم أن أحدهم قس بالجيش .. ذلك أن شيئاً جديداً بدأ يحدث له في حجرته حيث يوقظه في الصباح صوت أرغون موسيقى تسمعه أمه في الحجرة الأخرى وكذلك شقيقته .. كما أن بعض الكلاب التي تنام معه في نفس الحجرة تبدأ في النباح بصوت عال كما لو أن أحداً غريباً في الحجرة .. ولكن لا أحد هناك لا في الحجرة ولا في الممر الخارجي ..

وتوقف الضباط عند هذه القصة وخاصة القس .. وتطوعوا

بالنوم فى غرفة بوستر .. وكانت النتيجة تظهر فى صباح اليوم التالى عندما يأتى كل ضابط إلى مائدة الإفطار ووجهه شاحب .. حتى إن القس أصر على تغيير الغرف فى منتصف الليل ..

وتزايدت الضوضاء التى لا مصدر لها .. إن اللوحات تسقط من الجدران .. والروائح الغريبة تملأ الغرف .. وأصوات الضحكات كذلك ..

وسائل بوستر أحد القساوسة الكاثوليك ، وكان قد حضر إلى المنزل وأخذ يتلو الصلوات ويلقى بالماء المقدس .. ويصنع علامة الصليب .. ولكن شيئا لم يتغير ..

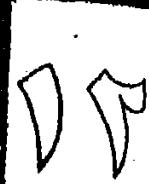
واستدعاى بوستر رجال البوليس الذين بحثوا كل الاحتمالات .. وبحثوا أيضا فى كل مكان . وكانوا يطلبون من بوستر أن يسیر فى الحديقة ليشاهدوا الحجارة تلقى من اتجاهات مختلفة .. ولكنهم لم يجدوا شيئا وانتهوا إلى «إن شيئا غريبا يحدث هنا ياسيد بوستر» .. ولم يكن هناك بد من استشارة الهيئة الروحية لمنطقة ميريلبون .. التى أرسلت وسيطتين .. إحداهما الشهيرة إيستيل روبرتس .. وقادت السيدتان بعمل جلسة تحضير أرواح فى الحجرة التى يسمع فيها بوستر صوت الأورغون .. وكانت المفاجأة .. إن روح والد بوستر هى التى تفعل كل هذا .. فالروح قد شعرت بخطأ المعاملة القاسية التى عاملها الأب لابنه .. وهى تريد من ابن المغفرة حتى تستريح ..

كان بوستر متشككا أول الأمر فى هذه النتيجة ولكن ما أكدته السيدتان من أوصاف للأب وتاريخ مولده وتاريخ وفاته .. بالإضافة إلى أدلة أخرى منها أنها قالتا لبوستر عن مكان مفتاح لأحد الأدراج يوجد به الإنجيل الخاص بالأب .. وبعد ذلك

تحدثت روح الأب إلى بوستر مباشرةً بنفس صوت الأب عن طريق إحدى السيدتين .. وقالت الروح إنها تطلب المغفرة من الابن .. بعدها توقف كل شيء وعاش بوستر في سلام ..

وفي عام ١٩٥٨ بدأ بوستر يعاني نتيجةً لفيروس شلل الأطفال الذي أصابه في طفولته .. فقد استخدام قدمه اليمنى .. ثم ذراعيه .. وتأثرت رئاته .. وبدأ يناضل ويعالج حيواناته وهو على كرسي متحرك حتى عام ١٩٦٥ حين اضطر إلى اعتزال مهنة الطب البيطري .. وبدأ يكتب قصة حياته ..

مريض كان يرى الشياطين في
رداء أخضر ترقص حوله.
ومريض آخر صاحبه شبح
هيكل عظمي حتى لفظ أنفاسه
الأخيرة.



الشياطين الخضر .. والطعام البيضاء

روز مارى تيمبرلى

كثيراً ما يسمع الأطباء قصصاً غريبة من مرضاهن .. ومنها
قصستان غريبتان من مذكرات الأطباء في القرن التاسع عشر .. وقد
رويت القصستان إلى سير والتر سكوت من أصدقاء طبيب .. وهو
لم يذكر أسماءهم .. وهم لم يذكروا أسماء المرضى .. لأن
الموضوع كان خاصاً ..

* * *

قال المريض: «إنهم الشياطين الخضر لا استطيع منهم
فكاكا» .. سأله الطبيب: أى شياطين خضر؟ .. رد قائلاً: إننى لا
أعرف ماذا أو من يكونون .. إنهم مجموعة من الأشخاص يرتدون
ملابس خضراء .. وهم يرقصون رقصة خاصة في حجرتى .. في
خطوات غريبة لم أشاهدها من قبل .. وكلما دخلت غرفتى أراهم
يرقصون وسط الأثاث .. قال له الطبيب: هل تكثر من الشراب؟ ..
إن الشياطين الزرق هو اللقب الذي يعطى الآن لمدمنى الخمور ..
الذين يصابون بالهلوسة .. ولكن اللون اختلف هذه المرة .. كان
لدى الطبيب سبب كاف لجعله يعتقد أن مريضه هذا الشاب الثرى
يعيش حياة كلها خمر ونساء .. إنه يملك منزلين .. وقصراً كبيراً
في المدينة يعيش فيه وضيعة في الريف أهملها لأن الحياة في
الريف متقدفة ..

نصحه الطبيب : «قلل من الخمر .. وسوف يقل الشياطين
الخضر الذين تراهم .. وأنصحك بأن تعيش لفترة في منزلك
بالريف .. وخذ الأمور بهدوء .. واسترخ .. ونم مبكرا واستيقظ
مبكرا .. وقلل من الطعام .. وامتنع الكحول ..» .

كان منظر الشياطين الخضر يخيف الشاب حتى إنه أخذ
بنصيحة الطبيب وذهب إلى الريف وبعد شهر وصلت إلى الطبيب
رسالة من مريض يقول له فيها إن علاجه قد نجح .. وإنه قد
استعاد صحته من جديد ولم يعد يرى الشياطين الخضر .. ولذلك
فقد سعد وكرر البقاء للأبد في الريف وعدم الحياة في المدينة
مرة أخرى .. ولذلك باع منزله في المدينة ولكنه قرر الإبقاء على
الأثاث وطلب نقله إلى قصره في الريف ..

وصل الأثاث .. ووقف الشاب سعيدا يرقب العمال وهم يرتبونه
في القصر .. كان يبدو جميلا في موقعه الجديد .. وبعد أن
انصرف العمال وقف الشاب وحده معجبًا بالأثاث .. وفجأة عادوا
من جديد .. فبين قطع الأثاث تشكلت الشياطين الخضر .. وبدأت
تتحرك وتؤدي رقصاتها الغريبة .. ووقف الشاب يحملق فيما
يحدث أمامه ، إنه لم يذق طعم الخمر منذ أسبوعين ولا بد أن ما يراه
حقيقة .. إن منظر الشياطين الخضر واضح تماما ويرددون أغنية
«هانحن جميعا هنا حولك» ..

وتحولت حياة الشاب إلى جحيم مرة أخرى .. وترك كل شيء
خلفه وفر للخارج .. ولم يعد مرة أخرى .. ولم يعرف طبيبه ما
إذا كان الشياطين الخضر قد تبعوه .. أم بقوا مع الأثاث الذي كان
بمثابة ملجئهم المادي .. ربما لا يزالون يرقصون في مكان ما
داخل ضيقة هذا الرجل لمالكها الجدد !

* * *

المريض الثاني كان محامياً شهيراً.. وربما كانت حياته قد دمرت تماماً لو عرف أحد الرعب الذي يعيش فيه.. وحتى طبيبه لم يستطع الفوز بثقته حتى النهاية تقريباً..

فقد استدعي الطبيب عندما انهار المحامي ورقد في فراشه.. كان نبضه بطيناً.. وبلا شهية للطعام تقريباً.. وكان يعاني من اكتئاب شديد.. وكانت أسرته تشعر بالحيرة مما يعانيه عائلها.. سأله الطبيب زوجته وأبنه ولكنهما لم يستطعا تحديد شيء معين وراء حالة المحامي.. إن الأسرة لم تواجه أية كوارث.. وكل شيء يسير بهدوء..

لابد أن هناك سراً.. ولا بد من الكشف عنه.. لقد قرر الطبيب إجبار مريضه على الحديث.. وطلب من كل الموجودين أن يغادروا الحجرة ثم أغلق الباب حتى أصبح هو والمحامي وحدهما.. كان الطبيب قد خمن أن يكون مريضه قد ارتكب جريمة ويعاني من شعور بالذنب.. لذلك فقد قال له: إن الاعتراف سوف يساعدك.. تتمت المريض قائلًا: حسناً.. سأخبرك برغم أنك قد تجد من الصعوبة تصديق ما سأقول..

وبدأ يحكى: منذ ٢٧ شهراً بدأت أرى أشياء لا يراها الآخرون.. كنت في صحة جيدة تماماً.. وأعيش في هدوء، ناجحاً في عملي وفي زواجي.. وكان أول ما رأيته قطة ظلت في البداية أنها حقيقة.. حتى تأكدت من أن أحداً لا يراها سوى.. وتعجب حول ما إذا كان هناك خطأ ما في عينيه.. أو عقله.. بعدها شعر بالخوف.. لقد كان يحب القطط جداً.. لذلك نما لديه التعود على وجودها الغامض.. وهو لم يذكر ذلك لأى شخص حتى لا يعتقد أحد أنه مجنون وبعد أشهر قليلة اختفت القطة وحل محلها كائن بشري.. كان هذا الكائن يرتدي رداء

الحاجب في المحاكم ويحمل سيفاً ويصحبه في كل مكان .. سواء داخل منزله أو في منازل الآخرين ، كان يسير أمامه على السلام كما لو كان سيعلن عن قدومه .. حضر المحامي الكثير من حفلات الاستقبال وكان الحاجب يحضر معه .. ويجلس وسط الحاضرين لكن أحداً لا يلحظه ..

وأيضاً مثلاً كان الحال مع القطة أصبح المحامي متعدداً على منظر الحاجب .. ولم يقل لأحد حتى لا تضطرب صورته أمام الناس

مررت عدة أشهر واحتفى الحاجب .. واستراح المحامي .. واعتقد أنه يجب أن يفكر في الأمر وفي التجربة كلها على أن اضطراباً بسيطاً قد حدث في المخ وأنه شفى منه ..

ولكن ذات يوم كان يسير وحده في الشارع وشعر أنه ليس وحده .. نظر حوله في خوف .. إذ توقع عودة ظهور القطة أو الحاجب .. ولكنه بدلاً من ذلك رأى صورة الموت نفسه .. هيكل عظمي .. بدأ يجري .. ولكن الهيكل العظمي كان معه صامتاً .. تبرق عظامه البيضاء .. وتترفع جمجمته المخيفة .. ومنذ تلك اللحظة ظل هذا الهيكل مرافقاً له .. عندما يسير وحده يسير إلى جواره .. عندما يجلس ليتناول الطعام يجلس أمامه .. عندما يكون مع أسرته يظل الهيكل العظمي وسطهم .. عندما يذهب إلى عمله في المحاكم يظهر الهيكل العظمي في الممرات وغرف المحكمة .. ويحاول الرجل أن يتناسى وجوده لكنه لا يستطيع .. وأدى هذا به إلى المرض .. إنه لم يعد يستطيع أن يأكل أو ينام ولم تعد أعضائه تتحمل ..

ورجا المحامي الطبيب إلا يبلغ أحداً من أفراد أسرته .. إن قصة مثل هذه سوف تنتشر بسرعة وسوف تدمر حياتهم .. لقد

حاولت كثيراً أن أتجاهل ما أرى ولكنني فشلت، إنه سيؤدي بي إلى الموت .. إنه شيء من العالم الآخر سيظل معى إلى النهاية ..

سأله الطبيب : هل يمكنك أن تراه الآن ؟ .. رد المحامي : بالطبع أراه .. لقد أخبرتك إنه أمام عيني طوال الوقت .. ولكنك أنت لا ولن تراه .. لا أنت ولا أى إنسان آخر سوائى ..

سأله الطبيب : قل لي فى أى مكان بالحجرة هو الآن ؟
قال : قرب أسفل السرير .. إنه موجود في المسافة المفتوحة بين الستائر المحيطة بالسرير .. قال الطبيب : إننا نريد أن نثبت ذلك هل يمكنك أن تقوم وتقف في المكان الذي يقف فيه ؟ .. رد المريض : لا .. لا أستطيع .. لا أستطيع بالله عليك .. قال الطبيب : حسن .. إذن سأقف أنا هناك .. وقام من مقعده ووقف في المنطقة المشار إليها .. وهو يقول : انظر جيداً .. لا هيكل عظمي الآن .. هل هناك ؟ ..

ورغم كل محاولاته المخلصة فقد شعر الطبيب بلمسات على كتفيه .. لكنه تماسك واحتفظ بابتسمة على شفتيه .. وقال للمريض : قل لي هل يمكنك أن تراه الآن ؟ همس المريض : ليس تماماً .. سأله الطبيب : ماذا تعنى بليس تماماً ؟ قال المريض : أعني أتبيني أرى الجمجمة فوق كتفيك .. قفز الطبيب ونظر خلفه .. لم ير شيئاً لكنه كان لا يزال يشعر ببرودة بالفعل فوق كتفيه .. وقال المريض وشعور باليأس ينتابه : إنك لرجل عطوف يا سيدى ، ولكن هذه القوى أيا ما كانت هي أيضاً أقوى منك .. ولا يمكنك مساعدتى .. ولا أحد يستطيع ..

حاول الطبيب بأكثر من طريقة أن يخلص مريضه من شبح الهيكل العظمي .. ولكنه فشل .. واستمر المريض يرى الهيكل ..

وازداد ضعفاً ومرضى خلال الشهرين التاليين ولم يقم من فراش
المرض مرة أخرى .. وبدأ الهزال يصيّبه .. ومات .. وشبح الهيكل
العظمي ملازم له حتى آخر لحظة ..

واحتفظ الطبيب بسر مرি�ضه الميت .. ولم تعرف الأسرة شيئاً
عن هذا الموضوع .

رقم الايداع : ٥٩١١ / ١٩٨٩

السادس

المكتبة العربية للمعارف

To: www.al-mostafa.com